الاديب والالم ...

خلق الشاعر والبؤس معا فهما خلان لن يفترقا

بقلم

هذا البيت رأياً شائعاً يكاد يكون رأي الكثرة في الناس، بل يكاد يكون رأي اهل الأدب انفسهم، وصاحب هذا البيت من اهل الأدب .. من كبار شعراء العرب في هذا العصر .. وهل تعرف « بدوي الجبل »؟

انه هو .. انه « بدوي الجبل » يقول هذا القول .. انه الشاعر الذي لا نعرف انه كان يوماً حليف بؤس، او كان البؤس حليفه قط .. وما يعرف احد ان « بدوي الجبل » كان يوماً شاعر البؤس، او شاعر الألم، وإنما الذي يعرفه شباب هذا الجيل، او الذين اوفوا على الكهولة في هذا الجيل، ان « بدوي الجبل » من شعراء « الرجولة » .. فكم بعث الرجولة في دماء الجيل كله عزماً وناراً، وكم بعث الرجولة في دنيا العرب كلها رغاباً وطماحاً.

ولكنها « الفكرة » السائدة اوحت الى شاعرنا ما كانت توحيه منذ زمن، وما لا تزال توحيه الى اليوم، من ان الاديب لا يكون أديباً حقاً ولا ينتج ادبا حقاً، الا ان يكون حليف بؤس او الم، والا ان يعتصره الشقاء اعتصاراً حتى يريق نفسه على مذبح الأدب دموعا ودماء، او حسرات وزفرات .

هذه « الفكرة » الشائعة، تحتاج منذ الآن، وفي هذا الزمن العقلي، الى ان تنظر اليها نظرة جديدة، منطلقة من أسر التقليد الموروث المألوف .. انها تحتاج الى ضوء جديد ينبثق من تفكيرنا الواقعي الجديد .. من تفكير الحياة نفسها في هذا الركب السائر في وضح النهار، على هدى العقل . وعلى وهج الوعي .

في ضوء هذا التفكير نسأل القائلين بضرورة الألم للادب :

لم يحتاج الأديب الى هذا الألم لكي ينتج، ويبدع ؟.. لم كانت تجارب البؤس والشقاء ضرورة للكاتب او الشاعر من اجل ان يخصب ويثمر ويفيض خصباً وإثماراً ؟.. ألأن إحساس الشاعر او الكاتب لا يهتز إلا للألم، ولا يستجيب إلا لمطرقة البؤس والحزن ؟.. ام لأن دوافع الألم اقوى من دوافع اللذة، ومطرقة البؤس أشد فعلا في نفس الأديب من رعشات الهناءة والفرح، او قشعريرة الغبطة والأمل ؟..

ألأن أدب الدمع أغزر ينبوعاً من ادب الابتسام وصور اليأس انضر جمالا واذكى عطراً من صور الرجاء ؟.. أم لأن الحياة بمكان من القبح، ومنزلة من الشر، بحيث لا يليق بها الا أدب الآلام والأسقام ؟.. أم لأن الناس احوج الى الأديب الكئيب الباكي منهم الى الأديب الضاحك، المنطلق، المتفائل ؟..

لسنا ندري : أي واحد من هذه الأمور يتخذونه سبباً لهذا القدر المحتوم الذي يفرضونه على الأديب ؟.. لسنا ندري : أي هذه الأسباب يدعو كثرة الناس أن لا يروا الأديب إلا جائعاً، او مريضاً، أو نادبا حريته، أو محروماً كرامته، لكي يعصر لهم قلبه أدبا من الأدب الذي يرتضون ؟..

والحق أن ليس شيء من هذه الأسباب يصلح حجة لما يرون من ضرورة الألم للاديب كي يكون عندهم أديباً حقاً، وكي ينتج لهم ادباً حقاً .

أتراهم، إذن، يفرضون البؤس والدمع والألم، على الأديب شهوة منهم للاستمتاع بآلامه، او شهوة منهم لاستلذاذ الدمع يستقطره من جراحاته ؟..

كلا، ما نظن اللؤم في الناس يبلغ هذا المدى إن صح أن اللؤم في الناس طبع وإصالة .. ما نظن الانسانية تهوي بها نزوات الشر حتى تختار الأديب أضحية شهواتها، وقربان لذاذاتها .. ولكنها « فكرة » شاعت في الناس لأمر ما، منذ زمن، فاذا الأجيال تتوارثها « قاعدة » يخلع عليها الخلف، في كل جيل، قداسة مشتقة من هذه القداسة التي تحوط بها ذكر السلف، وإذا كل جيل يرى ضربة لازم على الأديب، أن يجوع ويعرى، أو يكتئب ويشقى، وأن يجلده الزمان أبداً بسياط الهموم والمكاره، وإلا فما هو عندهم بالأديب الحق، وما أدبه في رأيهم، بالأدب الممتع المبدع .

والأديب ، في الواقع ، إنسان قبل كل شيء ، ولانسانيته حق في أن تكون موفورة النصيب من حياة الرفاهة أو الهناءة ، والكرامة كحق كل بشري حي ، ثم هو ، بعد هذا ، إنسان ممتاز ، أو هو ، بالأقل ، إنسان موهوب بعض المزايا : يحس الأشياء باسرع ، وأدق ، واعمق مما يحسها غير الأديب ، وينظر الى الأمور بعين أهدى، وانفذ، وأشمل مما ينظر اليها الانسان العادي .. فاذا رأى الناس الامر من جانب واحد رآه هو من عدة جوانب، وإذا لم يكن للشيء إلا وجه واحد في مستوى الأذهان ، كان له في ذهن الأديب وجوه ووجوه ..

بهذا يمتاز الأديب الحق في الناس ، فاذا كانت هذه المزايا لانسان ، وكان قادراً ، بعد هذا، أن يضيف إلى الحياة من إحساسه ، وإدراكه ، وبصيرته ، وبيانه ، ما يزيد ثروة الحياة في الفكر ، والخير ، والحق ، والجمال ، كان هذا الانسان أديباً ، وكان من ذوي الطاقة الممتازة في الأدب : يخصب ، ويثمر ، وينتج ، ولو كان أسعد الناس عيشاً ، وأهنأهم نفساً ، ولعله كلما كان هادىء النفس ، مطمئن البال ، آمناً كل الأمن على عيشه ، او حريته ، أو كرامته ، كان أعظم طاقة على الانتاج ، وكان أشد إقبالا على ينابيع الالهام ، وأسرع استجابة لدواعي الخلق والابداع والتجويد ، ولعله كلما اشتد به القلق على عيشه أو حريته ، أو كرامته ، وكلما لج الألم في نفسه أو جسمه ، كان أضعف طاقة ، وأضأل قدرة ، وامتنع عليه الصفاء الذي هو الينبوع الأول لالهام الفن والأدب ، وتوزعت مداركه ومشاعره أشتاتاً في مهاب القلق والهم والألم ، حتى يكون نصيب الفن والأدب من مداركه ومشاعره أضعف نصيب ، وقد يكون من آثار هذا كله أن تنضب مواهبه وتجف وتجدب .

لسنا نعلم كيف يتصورون الأديب منصرفا الى فن القول باتقان وإبداع وهو رابط على قلبه حجر الجوع مثلا، او هو مضطرب النفس بهم من هموم العيش ، أو هو مهتاج الأعصاب بخطب من خطوب الحياة .

وإذا كان في تاريخ الفن والأدب من جوّد وابدع على الألم، فان في تاريخ الفن والأدب كذلك من جوّد وأبدع على الهناءة والرفاهة والكرامة .

وإذا كان من شرط آخر لتجويد الانتاج الأدبي ، فهو ان يكون الأديب إنساناً مثقفاً شامل الثقافة لكي يعقل الحياة بفكره وعاطفته معاً ، لأنه اذا عقل الحياة بفكره المثقف وحده ، كان عالماً لا أديباً ، وإذا عقل الحياة بعاطفته وحدها كان ما ينتجه هياجاً عصبياً لا يغني الحياة شيئاً من فكر ، أو خير ، أو حق ، أو جمال .

ولعل القائلين بضرورة الألم للأديب يقصدون امراً آخر ..لعلهم يقصدون ان الأديب يجرب الألم في ذاته لكي يدرك آلام الناس ، فيحسن تصويرها ، حتى يجدوا انفسهم في ذات نفسه، وحتى يكون أداة خير وإصلاح في مجتمعه.

إذا كان هذا ما يقصدونه حقاً ، فيا خيره ويا طيبه قصداً .. ولكن أصحيح أن الأديب لا يرى آلام الناس ، ولا يحسن تصويرها الا حين يعاني التجربة في نفسه ؟..

لا ، إن الأديب ، كما قلنا ، إنسان ممتاز بنفاذ الحس ، ودقته ، وعمقه ، فهو ، إذن ، قادر أن يعي آلام الناس بمداركه ومشاعره من غير أن تدخل في تجارب ذاته .. من غير أن يكون وقوداً في سعير هذه الآلام ، وحسبه نفاذ إحساسه ، وشمول وعيه، وملكة بيانه ، لكي يصور آلام الشعب، ولكي يؤدي رسالة الخير ان كان من ذوي الرسالات الخيرة ، أو كان ممن يغمسون ريشة الفن في واقع الناس.. في هناءاتهم وجراحاتهم.. في صراخ قيودهم وأناشيد حريتهم، ولم يكن ممن يدبون الى اطواء ذواتهم ، وأوهام نفوسهم ، واحلام فراغهم ، وهواجس ذهولهم المتصوف السادر .

وخلاصة القول أن الأديب إنسان له حق الرفاهة والهناءة والكرامة ، وحسبه بعد هذا أن تجتمع له مواهب الأديب من نفاذ الحس ، وشمول الوعي ، وثقافة الفكر ، وإصالة البيان ، لكي يخصب ، ويثمر ولكي يفيض خصباً ويزكو ثماراً ، وليس حتما عليه ، حينذاك ، أن يتألم ويشقى ، ويكتئب ، بل من الحتم على الناس .. على مجتمعه ان يحول بينه وبين الشقاء ، والألم والاكتئاب ، بان يوفر له رفاهة العيش ، وهناءة البال ، وكرامة النفس والفكر والرأي ، ثم يدعه يؤدي رسالة الفكر ، والخير ، والحق ، والجمال هادئاً صافياً مطمئناً.

ومن العار على مجتمع ان يفرض على الأديب فيه « ضريبة » الألم والشقاء من أجل مقالة كل حجتها أنها شاعت وذاعت ، وأن أحداً لم يضعها لحظة واحدة أمام النور ..

حسين مروة

وانا وحدى مع الليل

للآنسة فدوى طوقان

نابلس



في الليل ، اذ تهبط روح الظلام
مرسلة فيه الرؤى الهائمه يـُطيف بي في يقظتي الحالمه
طيف ، ولـكن ما له شكلُ
يحضنـه جفني ، ولا ظـل
وانمـا بحـسّي الملهم
اعيـه شيئـاً ملغـزاً مبهم
كـأنما طلسمه الليلُ ...
وكلما رفعت في وحـدتي له مصابيحي انزوى في القتام!

***

في الليل ، اذ تنعس روح الوجودْ
يخطفني شيء وراء الفضاء كأنما تحملني في الخفاء
ضبابة تسير في تيهِ
لا لمعة تجلو دياجيه
لكن روحاً غير منظور
واراه دوني الف ديجور
احسّه في لاتناهي المدى يشدني الى بعيد بعيد ..

***

في الليـل اذ تخشع روح السكون
اسمع في الهدأة صوتاً غريب صوتاً له طعم،ولون، وطيب
طعم ، ولـكن غير أرضيِّ
لون ، ولـكن غـير مرئيّ
طيب ، ولـكن ..
لا .. فمـا أدري
ما كنهه ، كأنما يسري
من عالم هناك غيبيِّ !
تظل روحي وهي مأخوذة تصغي اليه من وراء الدجون

***

ما أنت يا من في ظلام الليال
احسه ملء حنايا الوجود في الارض،في الاثير،في اللاحدود
في قلب قلبي ، في سماواتي
في روح روحي،في مدى ذاتي
هلا توضحت بآفاقي ؟ !
هلا تجسدت لاشواقي ؟ !
هلا؟ ولـكن كيف؟
هيهات !
فانت مثل الغيب .. ما تنجلي يا لغز .. يا حقيقة كالخيال !!

منابع الاخلاق

لروجيه كايوا
مهداة الى الشباب العربي الحر التقدمي
مترجمة بقلم شعبان بركات
ليسانسيه في الآداب

في كتاب روجيه كايوا عن « صخرة سيزيف » Le rocher de Sysiphe فصل رائع عن منابع الاخلاق احببنا ان ننقله للقارىء لما فيه من فلسفة تدعو الى الجهد والمشقة في عصر وفي بيئة كفر فيها الناس بالجهد والمشقة. وصخرة سيزيف خرافة يونانية مؤداها ان الآلهة قد غضبوا على سيزيف وقدروا عليه ان يقضي حياته في حمل صخرة ضخمة والصعود بها الى قمة جبل ثم تركها تتدحرج حتى اسفله والعودة من ثم الى حملها ثانية وهكذا دواليك. وهكذا فان على سيزيف ان يقضي عمره في بذل هذا الجهد المضني. ولقد اتخذ بعض الفلاسفة من هذه الخرافة رمزاً لفلسفة متشائمة تعتقد ان الحياة عبث لا طائل وراءه. اما روجيه كايوا فهو على العكس من ذلك — يقول في مقدمة كتابه: «ليس هناك من جهد ضائع إذ ان سيزيف كان بذلك ينمي عضلاته» وهو يعتقد ان المدنية ليست سوى سيطرة الانسان على ذاته. فهي تقوم على المخاطرة والبذل. وان من خصائص المدنية ان تضع السلاح في يد البربرية التي تحاربها وهو يؤمن بان المدنية واحدة مهما اختلف الزمان والمكان. وهي تتبع قوانين ثابتة في ولادتها ونموها وزوالها. فنحن اذن بازاء مشكلة تعترضنا في كل زمان ومكان مشكلة من طبيعتها ان تستعصي على الحل. فالمدنية جهد متواصل يحوطه الخطر من كل جانب لا يمكن الشعور بتقدمها غير ان كثيراً من الناس يتفقون في انها افضل فخر للانسان.

***

يأخذ كثير من الفلاسفة على المدنية أنها تهدم العادات والتقاليد وهم محقون — ولا شك — في ذلك غير انهم لا يتفقون حول ما تهدمه. إذ قال البعض بانها تهدم « الضمير » وقال البعض الآخر انها تهدم العزم والطاقة وهم في كلتا الحالتين يأخذون عليها نفس الاساءة.

يبدو لنا بهذا مرة اخرى ان الشرف والشجاعة لا ينفصلان اشار لهذا معنى كلمة démoraliser حيث ان هذه الكلمة لا تعني « أفسد » بل « ثبط العزيمة »

هل الشجاعة ضرورية للفضيلة ؟ وكيف نأخذ على المدنية اساءتها لها لهذا الحد ؟ إذ اننا — مع كل هذا — ندين لهذه المدنية بالقواعد التي تقوم عليها الاخلاق، تلك القواعد التي تعيق الانسان في بحثه عن لذته ومنفعته. واننا لنتساءل كيف ان الانسان قد اخضع نفسه لهذه القواعد التي يتحملها بمشقة والتي يشك في انها ترتكز على العقل. يجب علينا ان نعترف بان كل فرد يعيش ضمن دولة شديدة النظام يبدو له خطر هذه القواعد على رخائه وامنه. فاذا ما كان شريفاً خدع واذا ما كان كريماً استغل. لان الناس يحتقرون الضحية بقدر ما يشفقون عليها. وليس هناك من فضيلة لا يبدو صاحبها احمق. وانه لمعز حقاً ان يظهر الانسان الفضيلة ثم يتبع هواه في افعاله. إذ ان المجتمع — غالباً — لا يطلب منه اكثر من ذلك.

ولا شك ان هناك — كما يقولون — قوانين رأس الحكمة مخافتها. غير انه من المشكوك فيه ان تكون تلك القوانين هي قوانين الاخلاق لان من الصعب اقامة هذه الاخلاق على الخوف. القوانين لا تدعونا الا للحذر والحيطة وكل منا ياخذها من جانبه ليحتمي بها ولو كان ذلك في سبيل الاساءة. فلن يعجز انسان ما عن استغلال هذه الاخلاق فهو يحترمها ثم يحرفها كي ينجو من العقاب الذي ينتظره. هذا كل ما في الامر.

ولهذا أليس من الافضل — والحالة هذه — ان يحاول المرء

الفوز باكثر مما يمكن الفوز به والمخاطرة باقل ما يمكن من المخاطرة، ولربما كان المثل الاعلى ان لا يخاطر المرء بشيء قط .

قليل هم اولئك الذين يرضون بمصيرهم. واقل منهم اولئك الذين يلزمون انفسهم بمخاطرة غير مامونة العاقبة لتغيير هذا المصير . فالكسل والجبن والعادة تقتل الطموح. وكل منا يعتبر القناعة والرضى من اولى المحاسن . فليس هناك من فرد ينصح بالانانية مثل القنوع الخامل. ذلك هو سبب انعدام الفضيلة وذهاب الحيوية إذ تلين الاخلاق وتمحي الشدة .

الكل يعرف انه يجب المحافظة على المظهر وان القسوة لا تاتي بشيء. ولهذا ندع القسوة الى المخادعة والى اتخاذ كل وسيلة لا تتطلب الشجاعة فليس من شك إذن في ان المدنية بهذا الشكل سبيل الى المخادعة والضعف. فهي تجعلنا نرى في الفضيلة زينة باهظة الثمن وحمقاً ساذجاً. فتميت فينا بهذا وفي نفس الوقت منابع القوة

كيف تعجب إذن من ازدهار جنس لا عزم له ولا مبدأ، لا يمنعه عن الجريمة سوى جبنه ؟!

إنه لمعجزة حقاً ان تظل الاخلاق قائمة بين الناس . ولست اعتقد ان الحمق يحميها. لان الناس لم يفقدوا بعد التفكير السليم كي لا يروا نفع الخيانة. ولا يخيل الي ان الخوف من عقاب ازلي في عالم اخروي يمنعهم عن الاساءة في هذا العالم. لان العالم الآخر جد بعيد. وعلى كل فلم أر قط اولئك الذين يؤمنون بهذا العالم الآخر يفضلون اولئك الذين لا يؤمنون به في افعالهم. واذا كان الامن هو الذي يفسد الانسان افلا يكسب من البلاء الصلاح والعزم ؟ إذ ان على المرء ان يمتلك كلا منهما . فاذا كان الخوف يمسكه فليس له من فضل. وإذا لم يكن قوياً الا للسير وراء هواه فمن يمسكه عن ارتكاب الأثم ؟ واذا كان مجبراً في الاقلاع عن اتباع لذته وشره فانه يفقد بذلك قيمته وقدره .

ليس هناك ــ كما يبدو لي ــ سوى وسيلة واحدة للخروج من هذا المازق فالجبر يصدر عن فعل الانسان وهو يظل حراً في الخضوع له او الثورة عليه . ولهذا فاني اشك في ان نعثر على منابع الاخلاق الحارة حيث تفيض وتكتسح في الاماكن التي يعيش فيها الانسان منعماً مرفهاً. بل نحن نجد هذه المنابع في اماكن اشد من تلك وحشة .

ولست اشك في انه حينما استقرت المدنية فسدت الاخلاق. غير اننا حينما اقمنا المدنية احتجنا للفضائل . ففي هذه الاماكن الغامضة المبهمة تتجدد سيطرة الاخلاق . ولن ينفض الانسان قط يده من المدنية فهو دائم السعي لتدبير شؤون العالم والسيطرة على نفسه. إذ لا يزال هناك طموح كبير يغرس حماسه . ومن الطبيعي ان يستسلم لدعة الحياة في البلد الذي يخضعه. اذ ليس هناك من امر خطير يستدعي ايقاظه من نومه، فياخذ باللهو والجذل ناعم البال. حتى اذا ما تصنل من كل واجب زعم انه فوق كل تقليد ثم إذا به ياتي ذلك في غير ما وجل. غير انه يجب السهر على الامبراطورية وكل هفوة مميتة. اذ بدون الشجاعة والنظام ينقض كل شيء ويتقهقر كل شيء .

وهناك وراء الافق المتموج رواد ذو باس شديد ينهضون بالمدنية حيث كل شيء له خطره الحق وموضعه الحق. لكن هناك دائماً بعض المناطق قد ازفت الساعة لضمها الى الامبراطورية . فالعالم لا يفنى والمدنية تخترع فرصاً جديدة في الوقت الذي يضعف فيه تقدمها الفرص القديمة. فهي ما تكاد تتآلف البحار حتى تفكر في مغامرة ثانية اشد من تلك جراة وعزماً. وهي ما تكاد تؤمن طرق المحيط حتى تفكر في شق طرق في السماء اسرع من تلك واكثر منها خطراً . والجهد دائماً واحد وهو يتطلب دائماً نفس الصفات النادرة : في تلك الثغور المتقدمة يعرف الانسان قيمة الفضائل .

تلك كانت حياة الطيارين حين كان الطيران لا يزال خطراً. ولا ازال اذكر مؤلفات يسرد في احدها المؤلف ــ وهو كاتب رائع ــ ما يعتريه من قلق وهو معلق بين الارض والسماء فيحاول مع رفاقه تجنب العاصفة او البحث عن الطريق السوي . الموت يترقبهم في كل لحظة باحثاً عن ضحية جديدة ، يبذل في ذلك من الحيل ما لا يخطر على بال. ها هم اولاء يحلقون فوق جبال الآند او ها هم أولاء يطيرون فوق رمال ليبيا او ها هم أولاء يجتازون البحر ، تلك المتسعات الجبارة المغرقة في وحدتها حيث لا يجد المرء سوى العداء والارهاق. في الليل تنصب لهم الطبيعة شراكها وما اكثرها ! الليل. الضباب. العاصفة. الصقيع. انحطاط الجسد التعب . الصداع . شرود الذهن . الخطا في الحساب . اساءة قراءة الخارطة. توقف الآلة لانكسار قطعة فيها . نفاد الوقود . عصيان احدى الروافع. حتى اذا ما ازف موعد الهبوط للارض كان على الطيار ان يحذر صدفاً اخرى: كجذع الشجر والحيوان الشارد وغيرها من الحوادث المؤلمة. لم يكن لهؤلاء الرجال بين كل هذه المخاطر الفراغ لتصفية شجون القلب وسبر اغوار الضمير او الانغماس في الابحاث الدقيقة التي يتجادل حولها العاطلون في اماكنهم الهادئة. فالمهمة التي القيت على عاتقهم لم تترك لهم مجالا

لذلك اذ اعطوها كل همهم. وعملهم الدائم كان يمسك بهم في مناطق قاسية من النشاط الانساني حيث تبدو الحرية والدعة اللتان يعتبرهما الآخرون افضل النعم شيئاً مخيفاً لا يمكن تصوره بل ان كل عظمة وكل سعادة ياتيان هناك من شدة العبودية التي ارتضوها لانفسهم. ان كل حركة في عالمهم لا يمكن التعويض عنها وكل سهو او نسيان او مبالغة في الحماس او العبث والاطمئنان يودي بهم ، فيموتون ويموت من معهم. وهذا يكفي فالاهمال او الادعاء في لحظة من لحظات السرور والضعف يؤدي فجاة بمجهود بطولة. وليس هناك من عذر، ولات ساعة مندم. بل يجب بدء العمل من اوله وبذل جهود اخرى والتضحية بامجاد اخرى وازهاق حيوات اخرى. فالكارثة لا يمكن معالجتها ولا طائل وراء ذلك فكل شيء ينتظر صدمة جديدة ليفضي الى نهاية حمقاء.

تحدثت آنفاً عن طيار وكان بامكاني ان اتحدث عن مخترع او قديس. إذ ان كل من ارتادوا طرقاً جديدة قد تعرضوا لنفس العقبات وعليهم ان يظهروا عن نفس القيم الغامضة : تلك كانت حياة صانعي المدنية منذ خطواتها الاولى ، اولئك الذين وهبوا جهودهم في سبيل مجدها.

اذا ما كانت الحياة في خطر وكان على المرء ان يناضل لانقاذ هذه الحياة فان كل شيء يفقد اهميته اذا لم يساعد على انقاذها. وكل ما تبقى لا قيمة له. حينئذ يعرف المرء تواً على اي جزء من نفسه يعتمد. فهو لا يبحث عن سلامته بين احلامه وتتضح له ان رغباته المجهولة لا تستحق مشقة الالمام بها. فهو يشعر ان لا شيء يجمعه مع تلك الغرائز الغامضة التي يمكن ان تقلقه فترة ما والتي ليست سوى ظل عابر.

وهذه الاكداس من الاقدار التي يدفعها بحق من ذاكرته لا تبلغ من العمق الا بقدر ما يبلغ مجرى الاقدار من عمق! إذ ان عمق الانسان الحقيقي كائن - كما يعرفه منذ الآن - في ضميره وارادته. فهو لا يمعن فيما الزم به نفسه الا متى اختار وعزم على الاستمرار في اختياره ولو اضطره الامر الى مجابهة الصعاب او انهيار الارض تحت قدميه. ذلك هو اسمى ما يملكه من خير، جذع وجوده الذي لا يمكن اقتلاعه بسهولة. فليس هناك من سلامة في ساعة الشدة الا في مقاومة تلك الشرارة الضئيلة المتكبرة. وكثيراً ما رأى الانسان ان مصير كل شيء يتعلق بسيطرة قوة عنيدة تصبر وتعلن بشدة وفي نوع من الاندفاع المجنون سموها عن الطبيعة وتعاليها عن غضب عناصرها بينما الجسد الذي يحمل هذه القوة قد لفظ انفاسه الاخيرة ولا يطمح منذ امد طويل لسوى طرد هذا الجبار الناحل العنيد من ذاته.

ذلك هو الدرس الاول الذي يحفظه اولئك الرجال الذين قدر عليهم ان يحاربوا قوات لا تسمع ولا ترحم. وهذا الدرس يعلمنا قيمة بعض الفضائل البسيطة المنتشرة بين الناس والتي يمكن لكل منا ان يقويها في نفسه بقدر رغبته اذ ان هذه الصفات تنمي فينا كثيراً من الحيويات كما ان التمرين ينمي فينا قوة العضلات. فهي تدلنا على مقدار بأس كل موجود وفي هذه الصفات نضع ثقتنا التي نوليه اياها. حتى اذا ما افتقدها انسان كان من الخير ان لا نؤمل فيه خيراً او شراً سوى ان ياتي الضعف من خير او شر. تلك هي مزية من مزايا الشر اذ يبقى شرا اذا ما ارتكب عن جبن او اضطر المرء لفعله ولم يرتكبه من نفسه. فيبقى الشر شراً دون ان يفقد شيئاً من خصب تدميره وربما تولد خصبه عن الملق اكثر من تولده عن سوء الطوية. وعلى العكس فان الخير الذي لا يصدر عن ارادة ليس بخير. اذا تم الخير لسهولته بينما الشر يتطلب آنئذ قدراً اكبر من الشجاعة فانه ينسب للشر هناك امل للنجاة في اثم لم يكن ليرتكب بدون قلب شجاع اكثر منه في عزم يمكن مدحه لولا ان الكسل والجبن والحذر هم الدافعون اليه.

تلك هي الصلات المتينة التي تجمع بين الفضيلة وقوة النفس، وليس هناك من شك في ان قوة النفس يمكن ان تبارك الشر بيد انها ضرورية للخير حتى انها ولو كانت اثمة فانها تفضل الجبن البريء. ان قوة النفس لا تنقص اولئك الذين يبذلون ارواحهم في سبيل مد حدود ملكوت مقدس. هم بحاجة اليها في كل يوم وبدون هذه القوة يتخلون عن مهمتهم ليشغلوا انفسهم باقل خطراً. وكل مهمة يقومون بها تبارك شجاعتهم وحدهم. اذ انه لا يكفي ان يتموا ما يتعلق بهم بل يجب ان يكون الحظ حليفهم ذلك الحظ الذي يمكن ان يخون شجاعتهم والذي لا بد من ان يخونهم يوماً ما وذلك لتعدد الاخطار التي تحيط بهم ولشدة هذه الاخطار.

ان نضالهم ضد عناصر الطبيعة والناس ليشد من عزيمتهم في حربهم ضد انفسم وعليهم ان يصمدوا حتى تنفذ قواهم لعلمهم ان سلامتهم لا تتعلق بجهودهم قدر تعلقها بالصدفة : فهم يعلمون ان كل مصيبة لا تميت انما تحيي. وهم طيلة حياتهم يشحذون قواهم حتى يكشر لهم القدر يوماً عن انيابه فيقضون بخطيئتهم

بل لان دورهم قد حل . وهكذا فان كلا منا يلقى الحتف الذي لقيه كثير من اصحابه قبله .

ولربما لم يكونوا يطمعون في شيء آخر لأن هـذه الميتة تنقذهم الى الابد من العزلة من مسرات السلم الخطرة ومن بلهنية العيش كما انها تنقذهم من المتع الهادئة البريئة التي عزفوا عنها واتبعوا ما قدر لهم . ان النهاية التي تفاجئهم وهم في المعركة تجعل لحياتهم معنى لم يكن ليتيسر لهم لو انهم ظلوا ينتظرونه في سريرهم بعد ان اثقلت الشيخوخة كاهلهم . فهي بمثابة الطابع الذي يذيل الصفحة يضمن الحكم عليهم حكما لا مرد له . وهذا ما يجعل الآخرين الذين تلهب قلوبهم نفس الشعلة التي الهبتهم يحلون محلهم في المعركة التي خاضوا غمارها .

لربما سخرنا بمثل هذه الشجاعة ؟ ولكنها تبقى في نهاية الامر قوة عارية لا موضوع لها ولا اتجاه يمكن ان نترقب منها ـ حسب استعمالنا لها ـ الآثار الشريرة والخيرة .

هل لنا ان نمتدح قوة لا تعبأ بالهدف الذي تصبو اليه بعد ان اقتنعت ان حقوقها لا حد لها سوى الحد الذي يفرضه سلطانها؟ ليس هناك شيء من هذا فان الخطر ـ الذي يعلمنا ضرورة القوة ـ ليعظنا في نفس الوقت باتباع واجبات اخرى . تلك الواجبات انما هي عبارة عن القواعد السرية التي تحدد الاستعمال الحق لهذه القوة كما تحدد واجبات هذه القوة التي لا يمكن التمتع بها والمحافظة عليها الا بمشقة كبرى والتي تعلمنا ان نتخذها وحدها مثالا لنا نحتذيه .

ان المعركة التي نخوض غمارها في ميدان المدنية ليست معركة فرد يعيش في عزلته بل هي معركة فريق يؤدي تخاذله الى القضاء على كل شيء . اذ ان سوء التفاهم لا يؤدي الى نتائج اوخم من النتائج التي تؤدي اليها العضلات الضعيفة وتخاذل الجسم . فالمناضلون اما ان يفوزوا او يقضوا جميعاً . لأن وحدة المصير تكفي لحملهم على الوفاء اذا لم يدفعهم لذلك نوع من الفطرة ينبعث من نوع من التعاطف الانساني الاولي . وهم ، وقد ساءوا الظن بالعالم اجمع لا بد لهم من الاعتماد كلياً بعضهم على البعض الآخر ينجم هذا الحنو عن وفاء متبادل نافع لسلامتهم حتى انه ليصبح امراً طبيعياً اكثر منه ضرورياً ، فاذا به جزء من غريزة حفظ الذات .

ولا يمكن ان يخطر على بال احدهم خيانة هذا الحنو ولو خيانة خفيفة دون ان يتأكد من انه يرتكب بذلك اثماً لا يمكن غفرانه ولسوف يحمل وزره يوماً ما وان وجود هذا الاثم ليحدث تفسخاً خطراً في المحالفة الصامتة التي تضمن سلامته الخاصة وان وجوده ليسممه الخوف من الآن فصاعداً . لأن المجرم يرتجف خوفاً من ان يقلده احد الناس . ولربما لم يشعر بتانيب الضمير غير انه يشعر بالقلق خوفاً من ان يقابل بالمثل . فهو غير اهل للثقة بعد ان خان ثقة صديقه .

ان الاخطار التي نقتحمها سوية والعقبات التي نذللها معاً لا تحمل على الخيانة بل تبحث على التضحية وهي تضيف الى قوة النفس قوة جديدة اقل منها انانية تشير علينا بان نعامل الغير كما نعامل انفسنا . ومع ذلك فنحن لا نزال امام ولاء الرفاق الذين ننتظر منهم المثل . ويمكن لجماعه من الاشرار ان يعرفوا هذا الولاء ولن تكون فائدتهم منه اقل من غيرهم

يجب ان نشعر بتضامننا مع جميع الناس اذ ان الصلات التي تجمع بين فريق من الناس لا يمكن ان تمتد فتشمل سائر الانسانية . في سبيل هذه الانسانية شقي نفر اختاروا بذل نفوسهم في سبيل مهمة تتجاوز حدود طاقتهم اذ انهم يحاولون جعل الأرض اكثر قابلية للسكنى . ذلك البناء الذي يبدو ساكنوه كانه فريق موزع الأهداء منقسم على نفسه ثائر بجنون على قوانين الاخوة التي تحفظ سلامة الجميع والتي تسمح في ساعات الحرج بابتسامة تنم على الذكاء : ابتسامة اولئك الرجال الذين اجاد الحديث عنهم ذلك الطيار الذي استشهدت به منذ لحظة في الصفحات الاخيرة التي ثمراتها . لقد اكتشف سمة الانسانية في هذه الابتسامة التي تشد ازر الاخوان والغرباء فيتعارفون كرجال استقلوا مركباً واحداً في رحلة واحدة . فاذا به ـ دون ان يسعى لذلك ـ شاعر الاخاء الانساني فهو لا يريد ان يستأثر بالقوى والفضائل التي دفعته مهنته الى امتلاكها امتلاكا نادراً اذ ان من طبيعة هذه الفضائل ان تفقد معناها اذا ما سمت وراء منفعة شخصية . ولعل الضعف والرذيلة اقدر في هذا المجال . كلا ان هذه الفضائل وتلك القوى والاختراعات لأرحب مدى . فهي لا يمكن ان تكون لمصلحة فرد او عصابة من الناس . وهي عديمة الفائدة خارج الجهد الذي تطلبها ، ذلك الجهد القائم على تدبير شؤون الكرة الارضية واشاعة التفاهم بين الناس وتنمية الكنز الذي سينهل منه الجميع ، ذلك الكنز الذي يزيد البعض فقط في ثرائه . ونحن اولئك الذين لا تنتمي اليهم مهما كان شاننا يحق لهم ان يلقبونا بحق لصوصاً وطفيليين .

شعبان بركات

الحي اللاتيني

بقلم سهيل ادريس

وكانه يشعر * - اذ هما جالسان على ضفة السين - انهما يعيان وجودهما هذا وعياً ثقيلا يكادان لا يطيقان تحمله. كان يقرأ ذلك في عينيها الزرقاوين ، فهما مضطربتان مغتلمتان، ولم يكن من قبل الا شديد الارتياح الى صفاء زرقتهما. وهو يحس بعد انها هي الاخرى تجهد في ان تتفادى النظر اليه ، فيما هي تحدق فيه ، وكأنما تبتهل اليه ان يكف عن محاولته سبر أعماقها.

هذا الحضور المرهف ، كانت نفسه شديدة الضيق به. وانه ليشق عليه ان يشعر بذاته متفتحة هذا التفتح الصارخ لتقبل كل خلجة من خلجاتها ، وكان موقناً بانها في مثل حاله ، وان نفسها تتمزق الآن لتخرج من هذا الوعي لوجودها ووجوده ، الى إغلاق او نسيان.

- ما رأيك في ان نقصد سينما « بلزاك » على الاوبرا ، فنشاهد « قصر الزجاج » ؟

فالتفت اليها منتفضاً ، انها تسرق فكرته مرة اخرى. وضحك في نفسه، لو تأخرت لحظة واحدة لاعتقدت انه هو الذي سرق فكرتها. أليس هو التجاوب المصدي في جوهما ذلك الذي سقط عنه كل حجاب ؟ فلمل الستار ينسدل عليه فيغيبه ، حين يرفع الستار عن الشاشة البيضاء.

ودون ان يجيب امسك ذراعها فانهضها عن ضفة السين ، واستقلا الاوتوبيس رقم ٢٧ الى الاوبرا ، ودخلا سينما « بلزاك »

***

غداً الاربعاء ، وبعد غد الخميس. يومان اثنان ، بل يوم واحد ، فاليوم الثلاثاء قد انتهى ، وصباح الخميس الباكر سيستقل القطار الى مرسيليا ليبحر الى وطنه.

ومع ذلك ، فهو يشعر ببعض الذلة ، ويأخذ على نفسه هذا الانخذال. الم يبالغ في التودد الى تيريز ؟ او ليست هي التي ايقظته على مرارة هذا الضعف :

- منذ يومين ألمس فيك من اللطف والود والتفاني ما لم المسه من قبل. ايكون دنو الفراق شاحذ العاطفة ومرهف الحس الى هذا الحد ؟

وللدفاع عن نفسه ، لم يجد خيراً من ان يرد لها التهمة فيلصقها بها ، ولكنه اقتنع بانها كسبت القضية ، فسكت ، حين اجابته :

- ذلك كان شاني دائماً: ضعيفة غاية الضعف في حبك. اما انت ، عزتك ، هذه التي تحبب الي شرقكم وتبغضه في آن واحد.

حق ما تقول ، وليس الى انكاره من سبيل. لكأنك عاشق في يوميه الاولين ، او عريس في ليلة زفافه ! ولكن لماذا تنحي علي نفسي باللائمة؟ الست استجيب ، الى قربها ، لأصدق شعوري؟ هل شعرت لحظة ، وانا اقبلها ، اني اغتصب القبلة اغتصاباً ، على فرط ما التصقت شفتاي بشفتيها ، ان لكل لثمة نكهة خاصة ومذاقاً جديداً. الشعور المتكلف المغتصب ، هو احياناً عزتك - هذه الشرقية. لتواجه واقعك هذا ، ولتواجه واقعك بعد يومين او ثلاثة ، ساعة تقف وحيداً على الباخرة ، لتنظر الى البحر وتفكر

ويضم تيريز اليه ، وفي حلقه غصة.

وتفزع هي الى ذراعه مرتعشة الضلوع واحس بعد لحظات بانفاسها يقطعها النحيب الصامت. لا ، انني لا احب ولا اطيق ان اراك تبكين لانك.. لانني انا نفسي سوف .. وأغمض عينيه ، حتى اذا أيقن ان الدمعة ضاعت في جفنيه ، فتحهما.

ولكنها ظلت في نحيبها الراعش. وادرك انه سيفقد مقاومته اذا استمر في الصمت ، فجعل يتكلم. وقال اشياء كثيرة تافهة شعر انها لم تكن خيراً من الصمت. بل هو فاجأ نفسه يروي لتيريز مغامرة الليلة الماضية في مهرجان « ليلة باريس ». ذكر لها دون ان يتردد انه بادل فتاة سمراء - علم فيما بعد انها اسبانية - نظراتها الحادة ، ساعة كانت الى جانبه على العشب الممتد في الساحة تجاه المسرح المكشوف. وأضاف انه لم تمض دقائق حتى كانت يده تداعب اناملها على العشب دون ان يحفل بشقيقتها وصهرها الجالسين غير بعيد عنها. وحين بدأت الأسهم النارية تشق عنان السماء منطلقة من برج ايفل ، كانا منتصبين يراقبان بجذل هذه الانوار الضاحكة التي تملأ الدنيا ، وهو لا يتردد في ان يحوط كتفيها بذراعه ويضغط عليها بشدة كلما زينت له نفسه انهما بمنجى عن الانظار.



* فصل من رواية للكاتب بهذا العنوان

- مسكينة هذه الفتاة الاسبانية ! قرأت في عينيها الأنس بي والرغبة في لقاء خاص، واستجبت لها، فواعدتها مساء اليوم التالي.

ونظر الى ساعته ثم ضحك :

- اي الآن . اعتقد انها منذ ربع ساعة تنتظر قدومي الى محطة « الاوديون » .

قالت تيريز وهي تمسح عينيها بانامِلها :

- ولماذا يخلف دون جوان وعده ؟ اني ذاهبة الآن لافسح له المجال !

فجذبها اليه بجنون وراح ينقل شفتيه في لثمات هامسة على عنقها وشفتيها وعينيها وهو يتمتم :

- اتحسب تيريز ان دون جوان يؤثر عليها احداً ؟ هي تعلم انها اجمل حب في حياته. ثم اني لن اضحي هذا اليوم الاخير...

فغطت فمه بيدها ، وعاد النحيب يهزها ، وما يلبث ان يتحول الى نشيج :

- لا .. لا تقلها .. ماذا يفيدني ان اكون اجمل حب في حياتك اذا كنت ستتركني بعد يوم او يومين ؟

وظلت ملتصقة بصدره ، وهو لا ينبس . ثم انقطع نشيجها فجأة ، فتنهدت واضافت :

- اية فتاة ضائعة سأكون !

وسقط عليه الذعر . انتهى الأمر ، وانفقأت الدملة . تلك هي الكلمة التي تؤذيه وتملاه رعبا . ضائعة . لا ، لست فتاة ضائعة . احسبك ان اتركك لتضيعي ؟ من انا في حياتك ؟ الم اقل لك منذ لقائنا الاول اني لست الا طيفاً عابراً ؟ أكانت حياتك فارغة هذا الفراغ المخيف يوم لقيتك ؟ وهل ستفرغ هذا الفراغ المخيف يوم اتركك ؟ اية فتاة تكونين اذن ؟ ان تيريز التي اعرفها فتاة في العشرين ، ناضرة رائعة غنية الاعماق. انها لتلفت اليها كل رجل يلم بها ، فلم تحبس نفسها في هذا السجن المحكم ؟ وددت لو اسحق وجهك قبل ان تنطقي بهذه الكلمة الصاعقة . ضائعة . كلمة لا يقولها الا من يحلم بالضياع ، من ينشد الضياع . قال لها ذلك منذ شهرين ، يوم ابلغها لاول مرة انه مسافر الى بلاده في اوائل الصيف ، فقالت له انها ستكون فتاة ضائعة — perdue — وتركته يقذف ما في نفسة هادراً ، ثم حنت رأسها على كتفه ، وجعلت تعتذر وتستعطفه ان يهدىء سورته ، وتقول له انها تحبه وان هذا الحب يبرر كل ما تقول .

اما الان ، فهو على يقين من ان فكرتها لم تمت ، وانها ستعيش في رأسها وصدرها ابد الدهر . وما اكره ان تعود الآن فتحني رأسها على كتفه لتعتذر وتستعطفه . لانه لا يود ان يحتقر نفسه اذ يصدقها .

وهي ، لم تنظر اليه ولم تحن رأسها على كتفه ، ولم تقل شيئاً.

واحس ان بوده ان ينفجر ، ان يدمي الجو . ولكن رويدك . اضغط على اعصابك قليلا وفكر . ماذا عساك تقول لها غير الذي قلت منذ شهرين ؟ دع شفتيك اذن مطبقتين . اما الثورة الهائجة فسوف تكبتها ، فما تلبث نارها ان تخمد . بضع دقائق . اترى ؟ لقد بدأت تنطفىء . لحظات اخرى . ارأيت ؟ هل هناك غير الرماد ؟ انهض الآن ، ولا بأس ان تترك تيريز ، فسوف تسقط على الوسادة . اذرع الغرفة مرتين او ثلاثاً . لا تنس انها يومان فقط ، بل يوم واحد . بعد غد . فهل يحسن ان تدمي نفسها جراحات ؟ كانت تقول لك منذ لحظات انها لم تشعر من قبل بمثل تفانيك وودك هذين !

وذرع الغرفة خمس مرات . وشعر بان جو الغرفة ثقيل ، ففتح النافذة ، ولكن جو الغرفة ظل ثقيلا. قال لها وهو يتفادى ان يذكر اسمها :

- ما تقولين في نزهة على شاطىء السين ؟

اجابت - : كنت اقترح عليك ذلك .

ونهضت وسرحت شعرها وصبغت شفتيها .

وغادرا الفندق ، فتأبط ذراعها .

حين خرجا من السينما ، تكلمت هي اولا :

ـ اوه ، لقد هبط الليل سريعاً . كم الساعة؟ التاسعة الا الربع .

قال ـ نذهب لنتناول العشاء في « الرالي » ثم ...

فقاطعته ـ لا تتم ، البقية عليّ .

ـ وما هي البقية ؟

قالت بجذل وهي تشد كفه ـ نصحتك الف مرة بالا تكون ملحاحا كالاطفال .

وتوجها الى « الرالي » . وقال ليتكلم :

ـ لم افهم تماماً القصد من تكسر « قصر الزجاج » ؟

فبادرته متعجبة ـ : اوه ، انك حقاً تبالغ .. هو رمز لتحطم آمال « جانين » !

فندم على تساؤله . وحين جلست قبالته في المطعم ، عاد اليه الوجود الثقيل . حقاً ان السينما قد وفرت له الغيبة . ولكن هنا ، هاتان العينان المضطربتان المغتلمتان ، كيف له ان يكف عنه هذه الاعماق التي تطل منهما ؟ كيف له ذلك بغير ان تغمض هي عينيها ويغمض هو عينيه ، وهما لا يفعلان ؟

كان يراها بين لحظة واخرى تبتسم له ، ولكنه لم يكن يحس ابتسامتها . انها لا تريد الابتسام . وسالته تيريز حين غادرا « الرالي » :

ـ اظنك لا ترفض دعوتي ؟

ـ دعوتك ؟ والى اي شيء تدعينني ؟

اجابت بمرح ـ الى « الكوبول » نشرب ونرقص و ...

وتوقفت لحظات ، ثم اقبلت فجاة بوجهها عليه تمر خدها على خده . وقالت وفي صوتها دموع :

ـ ونعيد عيد فراقنا الوشيك ...

وظلت ترتعش بين ذراعيه . وادرك انها تبذل الجهد الكبير لامساك دموعها رغبة في الا تستلفت انظار المارة . وجعل يضمها اليه بسعر . وهو يحس بان فيضاً غامراً من الحنان يتدفق فجاة في نفسة . لا ، ينبغي ان يحبها حباً عاصفاً حتى تشعر بهذا الحنان الدافق . انت ايضاً ، فكر بالفراغ الذي سيخلفه فراقها في حياتك ! الن تتيه قليلا ، الن ...

وسارع يغير الحديث ـ :اذن ناخذ المترو الى «الكوبول»؟

ـ اجل ، يا حبيبي ،

وقبل ان يبلغا مدخل المترو ، ألمت بهما امرأة طويلة جميلة تشيع حولها جواً من العطر الحاد . ونظر الى تيريز وهو يبتسم ، وتمتمت شفتاه لتقولا على غير رغبة منه : « Trotteuse » . وابتعدت عنهما « فتاة الرصيف » في مشيتها المتهادية ، لا تزال تجر خلفها موكب العطر والجمال .

واستقلا المترو صامتين . وما لبث ان استرعى نظرهما في احدى زوايا القاطرة شاب وفتاة يتبادلان قبلة لا تكاد تنتهي . وقال لتيريز :

ـ اي سنوبيسم هذا ! انه اشد ما اكرهه في باريس !

قالت وكانما لم تسمعه ـ انى شديدة العطش الى الخمر .. بودي الليلة ان اثمل !

ففهم ما كان يخشى ان يفهمه . تود ان تنسى الواقع . ان تذوب همومه في كاسها .

ـ وانا ايضاً ...

احس انها افلتت من شفتيه . وسرعان ما اكتسى وجه تيريز بالبهجة ، فقادته من ذراعه كالطفل اذ وقف المترو عند محطة مونبارناس .

***

وخرجا من «الكوبول» في الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

كان ينبغي ان تمنعها من فتح زجاجة الشمبانيا الثانية . اترى كيف انها تتهاوى الآن وتكاد تسقط لولا ان تسندها بذراعك؟ ولكنها الحت اشد الالحاح ، وهل كان بوسعي ان امنع عنها الكأس؟ لقد انفلتت عقدة لسانها فخشيت ان تجذب الينا الانظار . لم اكن اظن انها سريعة السكر . كدت اذوب خجلا حين كنت اراقصها ، فلاحظت كثيرين يومئون الينا ضاحكين .

واحس بانها تقف ، ثم رآها تقبل عليه تسائله ضاحكة :

ـ انت .. الا تعتقد ان اولئك .. سعيدات ؟

قال متعجباً ـ : من .. اولئك يا عزيزتي ؟

ـ اوه .. اولئك اللواتي .. رأينا منذ ساعات احداهن في شارع الاوبرا ...

تلك « فتاة الرصيف » ؟

فشعر بضيق يأخذ بخناقه ، ولم يدر بما يجيب ، فآثر الصمت. ولكنها عادت تسائله بصوت ممدود :

ـ قل ، الا تعتقد ذلك ؟ انا ... انا ..

فقاطعها ـ انت .. انت سكرى يا تيريز ، دعك من هذا الحديث!

فانفجرت ضاحكة ـ : لا .. لست سكرى .. بلى يا آلهي ، انني سكرى .. ولكن .. انا .. انا احسدهن اولئك .. لا هم في صدورهن ..

فهزها بعنف ثم قال لها مشفقاً : تيريز دعك منهن .. انهن لا يستحققن هذا الاهتمام .

فاكتسى وجهها بالكآبة ، ولكنها ما لبثت ان ضحكت من جديد :

ـ لماذا ؟ بلى .. انهن جديرات بكل اهتمام .. الا ترى يا حبيبي انهن يعشن عيشة خالية من كل ضيق ؟ اتعرف لماذا ؟ لانهن يعشن كل يوم بيومه .. انهن لا يفكرن بالغد !

وخانه صبره ، فأمسكها من كتفيها في وسط الشارع يخاطبها بالحاح :

ـ قلت لك كفي عن هذا الحديث .. ثم اني اريد ان اعرف ، هل انت سكرى حقاً ، ام انك تتصنعين السكر ؟

فاجابته وهي تتشبث بذراعه : ـ اوه لا تغضب .. لا تغضب يا حبيبي . اذا كنت تعتقد غير الذي اقول فانت ، بكل بساطة ، مخطيء ..

ثم سكتت ، فاستبشر خيراً ، وراح يجيل نظره باحثاً عن سيارة تقودها الى فندقها قبل ان تحمله الى فندقه . ومرت سيارة بعد لحظات فلم تقف لهما بالرغم من انه نادى سائقها غير مرة . وخلت الطريق من المارة ، فاستعاد سيره البطيء ، وهي ما زالت معتمدة على ذراعه . ثم عاوده الخوف ، اذ استأنفت هذيانها وبدأت بصوت منخفض كأنما تحدث نفسها :

ـ نعم يا عزيزي .. يقتل المرأة احيانا ان يكون لها ضمير . فاذا ارادت ان تعيش حقاً ، فينبغي ان تقتل هذا الضمير ، والا قتلها هو . اولئك الفتيات يردن ان يعشن ، ان يوفرن اللقمة ، فاذا ظل ضميرهن حائلا دون ذلك ...

وكفت لحظة ثم صرخت في وجهه : فماذا يعملن ؟ يمتن ام يقتلن ضمائرهن ؟. اجبني ، قل ..

كان يود الا يكون هناك . فهو لم يشعر حياته بمثل هذا الارتباك الذي استولى عليه . لم يدر ان كان ينبغي له ان يجيب ام ان يظل معتصما بصمته ، وبأي شيء يجيب اذا تكلم ؟ ثم ان الذي يثير اعصابه شكه في حقيقة موقفها : اهي تهذي من شدة السكر ام انها مالكة جماع وعيها اذ تنطق بكل هذا ؟ بوده لو كان يستطيع الآن ان ينظر في عينيها . وعاد صوتها الثاقب المؤلم :

ـ الا تظن يا عزيزي ان فتاة الاوبرا تلك ضحية حب ؟ ضحية شاب احبته فتركها ، وفقدت املها في حبه ؟ الم يكن ذلك الحب رغيفها الذي تقتات به ؟ منذ ذلك اليوم ، مات في نفسها الضمير ، فراحت تبحث بجسدها عن الرغيف ، وهكذا ضاعت ...

وانفجرت تيريز بالبكاء ، وسترت وجهها وهي تردد : ضاعت ... هكذا ضاعت .

وكان يحسب انها ستسقط مغشياً عليها بعد ان صفعها تينك الصفعتين الشديدتين ؛ ولكنها ظلت متماسكة دون ان تنبس بحرف ، ثم اذا بها تنحني وتقيء ، قيئاً كثيراً وسط الشارع ، واحس برشاش القيء على وجهه ويديه . ومرت سيارة بعض دقائق ، فاستقلاها ، واوصل تيريز الى فندقها وادخلها غرفتها وترقب حتى اغمضت عينيها . ثم عاد الى السيارة فاوصلته الى فندقه .

***

ولم ينم تلك الليلة الا غراراً .

ففي اثناء سهاده ، كانت تفغم انفه ، لحظة بعد لحظة ، رائحة عطر ينبعث على مساحب ثوب اسود يتخطر به جسم بض في شارع الاوبرا ؛ وما تلبث ان تختلط بهذا العطر رائحة قيء ، قذفته من جوفها فتاة كانت تتشبث بذراعه في شارع مونبارناس

باريس سهيل ادريس

ربيع بلا أحبة

من ديوان « وادي الاحلام » الماثل للطبع

مهداة الى صديقي الدكتور جورج ليان

لأنور العطار

دمشق

الربيع ربيع الشباب ، وربيع الاحباب « فاذا وليا عن المرء ولى » كما يقول ابو الطيب :
وحين يعود الربيع والأحبة لقى في القبور ، لا تصدح الطيور ولكنها تنوح ، ولا يضحك الندى في أعين الزهر ، ولكنها أعينه تخضل بالدموع ، ولا تدف الريح ولكنها تنتحب ، ولا تحف اوراق الاشجار ولكنها تصطخب ، ولا ترف الطبيعة ولكنها تكتئب

عاد الربيع، وما عاد الأحباء لا الزهر زهر ، ولا الأنداء أنداء
يظل يسألني عنهم بلا سأم قلب يعيش بهم ، والقلب أهواء
كانوا به أمس اشواقاً مبرحة واليوم هم فيه أحلام وأصداء
مات الهوى فيه إلا همس هامسة لها الاضالع ساحات وابهاء
فيا ربيع الهوى لا زلت مؤتلقاً يموج فيك الشذا والزهر والماء
لقيت فيك أحبائي وظللني من سرحة الحب أحناء وافياء
أبيت أرفل في بشر وفي دعة ليست تريم ، ودنيا الحب غنّاء
إذا الصباح تراءى في محفته أغني صباحي من مرآك أضواء
وإن أطل مسائي واجماً فرقاً جلته منك يد للحسن بيضاء
فانت لي فرحة الدنيا وزينتها ما عاود العين إصباح وامساء
وأنت أنت أحاديثي واخيلتي وذكرياتي ، وأنت البرء والداء

***

أطوف بالروض لا عطر ولا نغم ولا فتون ولا حسن وإغراء
واثني وفؤادي ما يفيق أسى كأنني دمعة في الخد حمراء
أطوي جواي وتطويني لوافحه ويقتل النفس غماء وباساء
دنياي بعدك أمر مرهق ونوى ما إن تطاق، ودنيا الصد جرداء
ما في جوانبها سحر ولا عبق وانما هي اوصاف وأسماء
يظل آدم في أرجائها قلقاً يبكي سراباً توارت فيه حواء
خلت من البشر لا الارواح تؤنسها كأنها رمم غبر وأشلاء

***

يا أيها الشعر ! خلد ذكر من رحلوا فهم ربيع وأفراح وأشذاء
وناجهم وارعهم في الترب ما رقدوا ما غير الحب تفريق وإقصاء
لولاهم ما صبت نفس ولا صدحت على أماليدها في الدوح ورقاء
هم علموا القلب أن يحيا بذكرهم وما له يوم غابوا عنه سراء
يا بؤس للقلب إن عاد الربيع ولم يعد من الغربة الكبرى الاحباء

السريالية والاتجاهات الحديثة في فن الرسم

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبرج



ان الحديث* عن الفن من اصعب الامور ، لأن المحدث لا يعرف بالضبط اين يبدأ واين ينتهي ، ولأن السامع في اكثر الاحيان ينتظر من المحدث ان يشرح ويوضح ويدافع ، في حين ان المحدث يؤثر الانطلاق في مجال اخرى غير الشرح والدفاع .

ولذلك ، قبل ان اخوض في الموضوع ، اود ان احدد موقفي امامكم ، لئلا يؤخذ علي ما لست اريد . انني اذ احدثكم عن الاتجاهات الحديثة في الفن ، لست ادافع عنها واحث عليها : انما انا استعرضها ، واقدمها لكم عارية من زخرف القول . ولعلكم بعد ذلك تستشفون رأيي في الموضوع ، غير انني ارجو ان تذكروا انه رأي شخصي ، خاص بي ، ولست ارمي الى بثه في روح الجيل الجديد ، الذي عليه ان يكتشف الحقائق بنفسه ، ويهتدي الى مواطن الجمال في الحياة بعد بحث ، وشك ، وتقلب ، ومخاطرة . ولكنني لا اجد ندحة هنا من ان اعبر عن اسفي من ان القسم الاكبر من جيلنا الجديد يستلهم لفهمه قيم الحياة المجلات المصورة ، التي يصدرها اصحابها بمئات الآلاف لتسلية الجماهير ، وان فئة قليلة جداً تطلعت الى ما وراء تلك الغلافات المبهرجة ، لرؤية الخطوط الحية ، والالوان الوهاجة ، والاشكال العجيبة ، التي تطفح بها الطبيعة ، والشوارع ، والبيوت ، ووجوه الناس .

ان تجارة الصور التي تروجها مجلات التسلية والترفية وشركات السينما ، بنيت كلها على استغلال جمال المراة ، وليس بينها وبين الفن الرفيع اية علاقة ـ الا اذا قلنا ان ملتقطي الصور يقلدون الرسامين ، ويتعلمون منهم ترتيب الاشكال والاوضاع .

اما الرسامون انفسهم فانهم ، حين يرسمون الوجوه او الاجسام ، يحاولون ان يعبروا عن حالاتهم الفكرية وآرائهم . واذا كانوا حقاً مخلصين لفنهم ، فانهم لا يابهون بما يسمى بالجاذبية الجنسية التي لا يعرف تجار المجلات سواها ، بل انهم يرمون الى خلق المتعة الذهنية عن طريق اثارة الحس والفكر . فالرسام الحق ـ كالشاعر والكاتب المسرحي ـ رجل ذو افكار : غير ان افكاره ليس من ضرب افكار الشاعر والكاتب لانها لا تؤدي بالكلمات ، فيؤديها بالخطوط والالوان . ومما يؤذي الرسام ان يجد الذين ينظرون الى صوره يبحثون فيها عن الجمال النسوي المالوف ، كانهم ينظرون الى صور فوتوغرافية لجماعة من الممثلات ، فاذا لم يجدوا ذلك اللون من الجمال عبروا عن خيبتهم في فنه . وهم يجهلون انه انما يحاول ان يقول شيئاً لا تستطيع الكلمات ان تؤديه ، فيرسم اقواله رسماً .

ان هذه في الواقع هي مشكلة الفنان ازاء الجمهور . فقديماً كان الفن من توابع الحياة الارستقراطية ، لانه كان للنبلاء يومئذ من فراغ الوقت ما يسمح لهم بالتخلي لتذوقه والتنعم به . اما اليوم ، وهو عصر الشعب ، فلا بد للجمهور اذا اراد ان يتمتع برؤية الصور ، ان يدرب نفسه على ذلك تدريباً . لان تذوق الفن ليس بالشيء الذي يأتي المرء طائعاً ، واللذة فيه لا تنجم الا عن النظرة المدربة والحس المرهف . فالفن ابداع ذوي الخيال الخصب ، والفنانون في صورهم يقدمون للمشاهد ما هو في الغالب ليس في حسبانه ، ولعل المشاهد يؤخذ عجباً قبل ان يشعر بالاعجاب .

ونحن لو اردنا ان نذكر ما يقوله المفكرون والنقاد عن الفن ، لما انتهينا الى حد ، لأن الاقوال فيه تتضارب ، والاصطلاحات

* القيت هذه المحاضرة في دار المعلمين العالية ببغداد ووضحت بالصور .

المستعملة كثيرة ، ويصعب علينا في اكثر الاحيان ترجمتها . فمن قائل ان الفنان انما يعنى « بالشكل ذي المغزى » Significant form ، ومن قائل – كتولستوي – ان وظيفة الفن هي نقل العاطفة . ومنهم من يقول انه ما على الفنان الا ان يثير « العاطفة الجمالية » واليكم ما يقوله البروفسور كولنغوود – وهو ناقد فلسفي يحب الفن :

« ليس الفن معرفة ، اذ لا يمكننا ان نمدحه لما فيه من صدق. ولا يهدف الى اعطاء الفكرة .

« وهو ليس برأي معين محدد ، ولا يمكننا ان نمدحه لما فيه من فائدة ...

« ان اسمه الصحيح هو الخيال . وما يهدف اليه هو الخيالات والصور ، وهي ليست الا رؤى ادركها الفنان ، بل خلقها بفعالية تشبه فعالية خلق الاحلام . وهذه الفعالية الخيالية لا تقرر شيئاً ولا تنص على امر . ولذلك فان الفنان لا تنقصه المعرفة فحسب ، بل ينقصه حتى الرأي . واعماله لا تحتوي على حقائق : انما هي تحتوي على فتنة وزخرف ، اذا ما جردتها عن صوره ، لم يخلفا شيئاً وراءهما . وهذه الفتنة او هذا الزخرف هو ما ندعوه الجمال ... »

***

والان لندع هذه التعريفات جانباً ، ولننظر الى قضية الرسم كما هي في الواقع – او كما كانت في الخمسين او الستين سنة الاخيرة .

ان اول ما يلاحظه المرء عندما ينظر الى صورة من عمل احد الرسامين المحدثين هو ان الفن الحديث يلقي باصول الرسم عرض الحائط . فالتظليل والمنظور perspective – وهما عمادا الرسم منذ بدء النهضة الاوروبية – قد فقدا ما لهما من قيمة . ويدرك المرء في الحال انه ازاء رسم جديد يسعى الفنان بواسطته وراء قيم جديدة ، وتعبير جديد . ومهما كان حكم المرء على هذا الرسم فانه لا ريب يتوصل في النهاية الى القول بان الفن الحديث هو :

محاولة لفهم الحقيقة من جديد .

ونحن في عصر يتبدل الرأي فيه بسرعة ، بعكس الاعصر القديمة ، حتى ليمكننا القول ان حقيقة الامس هي كذب اليوم ، وحقيقة اليوم هي كذب الغد .

اننا في عصر تحول ، سواء افي الشرق ام في الغرب. ولكننا في الشرق ما زلنا نتطلع الى الغرب حتى في تحولنا . والفن الحديث هو بالطبع نتاج الحضارة الاوروبية ، وينعكس فيه التخبط والقلق اللذين اسفرت عنهما الحروب الاخيرة ، وتضعضع القيم الدينية في وجه التيار العلمي ، وانحطاط اهمية الطبقة الوسطى العليا في وجه التيار الصناعي ، وازدياد اهمية الشعب السياسية بعد ان كافح الرومانسيون والاشتراكيون في سبيل ذلك طوال القرن الماضي .

ولكن الفن الحديث ، الى جانب هذا كله ، يصور رد فعل في نفس الفرد ازاء التطور السياسي الذي اتجه في الحقبة الأخيرة نحو التكتل الجماعي والقضاء على شخصية الفرد . ويبدو ان الفنان ، اذ رأى شخصية الجمهور تكاد تطغى على شخصيته ، عزم على مقاومة هذا الطغيان بالتشديد من فرديته ، وتركيز همه في دخائل نفسه ، دفاعا عن حريته الذهنية والعاطفية .

هذا من حيث التاثير السياسي والاجتماعي .

اما من حيث التاثير الفني ، فقد كان للاساليب القديمة التي كشف عنها المنقبون في القرن الماضي ، بما في ذلك الفن الزنجي ، ابعد الاثر في الفن الحديث . فقد كان الفن الاغريقي الملهم الأكبر للفن الأوروبي ، الى ان اكتشفت فنون الحضارات القديمة الاخرى وانصرف الفنانون والمتذوقون الى دراستها . واذا الأساليب الآشورية والفرعونية والبيزنطية تغدو ملهما جديداً للرسامين ، فيؤثرون العودة الى البساطة في التركيب الفني قدوة بها ، وتزداد عندهم اهمية الخط line والزخرفة التخطيطية ، بل ان التصوير التخطيطي يكاد يصبح الاسلوب الوحيد لعشرات من الرسامين المعروفين .

وهنا نجابه المشكلة الاساسية في فهم الرسم المعاصر : كان الناس ينتظرون من الرسام ان يقلد الطبيعة ، واذا هو لا يفعل من ذلك شيئاً ، بل يخلق اشكالا لم يكن لهم عهد بها من قبل وتكاد تكون احيانا مرعبة ، ويسميها فناً . فهل هو محق في ذلك ؟ ولكن احرى بنا ان نسأل : هل يحق للناس ان يطالبوا الفنان بالتقليد ؟

لم يكن الفن ، في اي عصر من عصوره ، مجرد تقليد للطبيعة ، ان الفن ماخوذ عن الطبيعة ، ولكنه بدلا من ان يكون تقليداً لها ، نجده تحليلا للطبيعة ، او اعادة تركيب لعناصرها ، او تعليق عليها ، او ممازجة معها . قد يقول البعض ان سلبية الفنان امر جوهري ازاء الطبيعة : اي ان عليه ان يسمح لها بان تفعل في

نفسه ما تشاء ، ولا يقتحمها هو عنوة . بيد ان الفنان ـ الا اذا كان احمق ـ لن يستطيع ان يكون كالصفحة الفوتوغرافية السالبة . فهو قد يفسح المجال للطبيعة لكي تفعل بنفسه ما تشاء اذ يستسلم لها ، ولكنه يصور فعلها في نفسه اكثر مما يصورها هي ، او قد يعالج عناصرها ، اذ تفعل في نفسه ، كمادة خام له ان يكيفها حسبما يبغي ، كما يفعل الموسيقي بالاصوات الطبيعية ، حين يحولها الى انغام لم تكن معروفة من قبل .

اما التقليد « واكثر المتحاملين على الفن لا يفقهون غيره » فلم يشع الا في فترات الانحطاط في تاريخ الحضارات البشرية ، كما حدث في اواخر القرن الماضي عندما انحط الفن وافلس في الاكاديميات الفنية ـ لولا ان اسرع الانطباعيون الى انقاذه

من يستطيع القول ان الرسم في عصر النهضة لم يكن الا تقليداً للطبيعة ! هل صور ميخائيل انجلو « وهي تمثل عظمة الانسان الخلقية » محاكاة،ليس الا ؟.وصور رافائيل وليوناردو؟

اما الفن القديم فمن الظاهر ان الدافع فيه ليس التقليد المجرد ، سواء كان ذلك عند المصريين او البابليين او المكسيكيين .

فاذا قلنا ان الفن تحليل للطبيعة ، وجدنا السبيل لفهم الفن الحديث برمته . لاننا قد نعني بكلمة « الطبيعة » ما تراه اعيننا خارج اجسامنا ، او تراه البصيرة في انفسنا . ولما كان عصرنا مضطرب النفس ، قلق الذهن ، فقد تحول اهتمام الفنانين باجمعهم من الاشياء المرئية الى الأشياء المحسوسة : اي انهم انصرفوا الى المشاعر نفسها مهما شطت في الغرابة . ومن ثم تطرق الفن ـ بايحاء من علم النفس والتحليل النفساني ـ الى الاحلام، ومنها الى ما هو أبعد حتى من الاحلام عن وعي الانسان : الى اللاواعي نفسه ، الى الرواسب في عقل الانسان الباطن ، حيث امتزجت التجارب والذكريات والأشياء في اشكال عجيبة كالاحلام، وكالاحلام مستحيلة. ومن هنا نشأت السريالية .

***

الـ هناك ثلاثة أساليب أساسية لادراك العالم الذي حولنا وتصويره ، وهي : الواقعية ، والمثالية ، والتعبيرية . وقد يضيف البعض اسلوباً رابعاً هو السريالية .

اما الواقعية ، ففي غنى عن الشرح.فهي في الفن محاولة تصوير العالم كما نراه بالضبط ، بدون اي تحوير او حذف او زخرفة .

أما المثالية، فتبدأ من أساس واقعي،ولكنها تنتقي عن تقصد ما تشاء وتلفظ ما تشاء من آلاف المرئيات او المحسوسات.وقد عرفها الرسام الانكليزي رينولدز في القرن الثامن عشر اذ قال: «في فن الرسم ميزات لن يدركها اي تقليد للطبيعة ... فالفنون جميعها لا تدنو من الكمال إلا اذا سعت وراء المثل الاعلى ، وهو الجمال.وهو اسمى من كل ما يوجد في الاشياء في حالتها الطبيعية» ثم يقول : «ان عين الفنان في وسعها ان ترى ما في الاشياء من نواقص وتشويهات وشوائب ، فيفرزها الفنان ويضفي عليها شكلا مجرداً هو اقرب الى الكمال من شكلها الاصلي »

فالمثالية إذن قاعدتها ذهنية، بينما الواقعية مبنية على الحواس، لانها تسجل ما تدركه الحواس باقصى ما تستطيع من أمانة في النقل.غير أن هناك جزءاً آخر في الذات الواعية ندعوه العواطف وعلى هذه العواطف يبنى الاسلوب الثالث : التعبيرية .

فالتعبيرية لا تصور حقائق الطبيعة الموضوعية ، ولا الفكر المجردة المبنية على تلك الحقائق ، بل تصور مشاعر الفنان الذاتية فهي اذن فردية ، تسعى الى التعبير عن عواطف الفنان مهما كلف الامر: كأن يكبر المظاهر المرئية ، او يشوهها في بعض اجزائها بشكل قد يكون مغرقاً في الغرابة. فالفن الكاريكاتوري في الواقع فن تعبيري ، ويتذوقه الناس بسهولة.ولكن عندما يجعل الرسام من هذا الكاريكاتور صورة زيتية،فيها شيء من التعقيد والتأليف يثور الناس عليه،لانه حينئذ لا يحاول ان يجتذبهم.فلا هو يمالىء غرورهم ، ولا هو يشفي غليل مثاليتهم . فهو ثائر على الفكرة العادية للواقع التي يعرفها الجميع ، وهو يحاول ان يخلق ادراكاً للواقع اقرب الى عواطفه وتجاربه الشخصية*

***

في ضوء هذا نستطيع الآن ان ننصرف الى التطورات التي مر بها الرسم الحديث . ولا بد لنا من ان نبدأ باول انحراف ظاهر عن الاساليب الاكاديمية المألوفة:الانطباعية

فالانطباعية Impressionism بدأت في أوائل الثلث الأخير من القرن الماضي . وقد اثار الرسامون الذين قادوا هذه الحركة سخط الناس في بادىء الامر ، ورفضت المعارض صورهم ، لأنهم حاولوا ان يمثلوا حقيقة الطبيعة في شكل جديد . لقد كان همهم ان يحللوا الضوء ، ويدرسوا اثره في مظاهر الاشياء في ساعات النهار المختلفة . ولكي يفعلوا ذلك خرجوا من المرسم الى العراء ، ورسموا صورهم بالوان براقة تحاكي لألاء النهار مما لم يكن معترفاً به لدى المدرسيين . وكان من زعماء هذه

* راجع فصل : Expressionism في كتاب هربرت ريد « Art and Society »

الحركة مونيه ومانيه وسربي وبيسارو وديغا .

ولكن لم تنقض بضع سنوات حتى ادرك الناس جمال صورهم . وبذلك بدأت موجة الاتجاه الجديد . لقد بدأت بمحاولة لتحليل الضوء لـكي تغدو الصورة اقرب الى الواقع ، واذا هي تتطور بسرعة فينحصر هم الرسام في تلاعب الالوان الزاهية ، فيحول اكثر ما يراه من اشياء واشكال الى كتل من الوان مشعشعة .

ومن الممتع ان رسامين اثنين ، لم يتلقيا لحسن الحظ دروساً في معاهد الرسم ، كان لهما ابعد الأثر في ادخال عناصر وقيم فنية لم تكن متوقعة حينئذ . اولهما ، ولعله اعظم الاثنين، فان غوخ Van Gogh ، الهولندي الاصل ، الذى قضى اواخر سني حياته القصيرة في باريس وضواحيها . لقد عاش فان غوخ متقلباً من عنف عاطفي الى عنف ، مؤمناً بجمال الطبيعة وروعة الشمس : واراد ان يعبر في رسمه عن هذا الحب العنيف للحياة الذي لم يزد في حدته الا فقره وشقاؤه وخيبته في من احب من نساء . فصور حقول القمح وحدائق المدينة ، باتساعها المترامي مغمورة في ذهب الشمس ، كما صور غصناً منوراً من شجر اللوز في كاس ماء ، وزهرة الشمش ، وكرسيه ، وحذاءه على بساطتها ، وكان ان ادخل الخط في صوره ـ بتأثير الفن الياباني الذي يحبه ـ وأعطى للالوان قيما عاطفية ، مستعملا بكثرة على الاخص اللون الاصفر ، لون الشمس ، كرمز للحياة وعشقه لها . وفي اواخر ايام حياته « وهو لم يقض اكثر من عشر سنوات في الرسم الجاد » كانت خطوطه تتلوى وتستدير فتتلوى وتتناثر معها الوانه ، اذ يرسم اشجار السرو والنجوم والقمر ، فتعبر عن الثورة في نفسه وعن الاضطراب والقلق اللذين دفعاه اخيراً الى الجنون ثم الانتحار . ولم يسمع طيلة ايام حياته كلمة ثناء من احد الا اخيه . ولـكنه بعد موته بقليل عد من اعظم من انجبت اوروبا . وهو يعتبر ابا الحركة التعبيرية ، لأنه لم يرسم الاشياء كما هي ، بل رسمها كما تفعل في نفسه ، مقرونة بعواطفه وانفعالاته

والرسام الثاني بول غوغان : وهو ايضاً أتخذ الرسم لنفسه هواية في اول الامر أيام كان يعمل كاتباً في مصرف ، ثم هجر عمله وزوجته واولاده واخيراً بلده ، لـكي ينقطع الى التصوير ، حين ذهب الى تاهيتي باحثاً عن الحياة البدائية والتركيب الفني البسيط . فاستعمل في صوره الخط والالوان البراقة ، ولا سيما اللون البرتقالي . بل كان من دأبه ان يملأ مساحات واسعة في الصورة من لون واحد . وقد قابل فان غوف في باريس ، ونزلا معاً في دار لمدة ما ، ولـكن لم يطق الواحد الآخر طويلا لاختلافهما الشديد في الطباع .

وتعود أهمية غوغان الآن الى أنه مؤسس المدرسة الفنية التي كان من قادتها في هذا القرن ماتيس ، والتي سمى اتباعها انفسهم بالوحوش Les Fauves . وهي المدرسة التي تعنى بالزخرفة في الرسم ، من حيث استعمال الخطوط والالوان الاولية ، وتجعل الجمال الزخرفي غاية الابداع . فاذا استعملوا الوجوه والاجسام آثروا ان يعطوا الحرية لخطوطهم بحيث تكون لينة ورخصة في امتدادها وتعرجها ، وان يتشوه شكلها الطبيعي . فالمهم في نظرهم هو الصورة نفسها ، لا الموضوع الذي قد تنقل عنه .

وهناك رسام ثالث ، بدأ انطباعياً ، ثم تحول الى شيء آخر انبثقت منه حركة من اهم حركات الفن المعاصر : التكعيبية . هذا الرسام بول سيزان . كان هذا رجلا هادىء الطبع ، درس الرسم كأي فنان تقليدي ، ولـكنه اذ تقدم به العمر جعل يتمعن في مظاهر الطبيعة باسلوبه الخاص . وكثيراً ما كان يرسم المنظر الواحد مرات عديدة ، محاولا ان يكتشف اهم ما في ذلك المنظر من خطوط وكتل . وهو لا يقحم عواطفه في ما يرسم ، بل يحاول أن يرسم الاشياء كانه قد لمسها بحسه . ولذلك فان في صوره صفة عجيبة : فيها صلابة وقوة كانما المشاهد لا يرى الشيء بعينيه بل يتحسسه بيديه . ومن اقواله المشهورة : «إنني لا اقلد الطبيعة : انما انا امثلها .» *

وبعد سيزان ننتقل الى قرننا هذا ، وقد تزعزعت التقاليد الفنية ، وتنبه الناس الى ضرورة التجديد . فكل رسام ـ ككثير من الشعراء في هذه الفترة ـ يوجد لنفسه اسلوباً جديداً ، احياناً تختلف النظريات دفاعاً عن اسلوبه ، واحياناً لا يأبه للنظريات

* يدعو النقاد سيزان وغوغان وفان غوف « ما بعد الانطباعيين » Post-impressionists

ولا يهمه الى ان يكون أصيلا original فريداً في نوع إنتاجه.

وأهم هؤلاء الرسامين، وأشدهم خطراً، واكثرهم ذكاء، بابلو بيكاسو. وهو اسباني جاء باريس في اوائل القرن وهو يناهز العشرين وبقي فيها حتى يومنا الحاضر. وهو يتقن الرسم الاكاديمي - كما تشهد بذلك الصور التي رسمها في صباه- غير أنه يؤثر البساطة واستعمال التخطيط بادىء الامر، متأثراً بالرسم الياباني، ثم يتطور فنه بسرعة عجيبة، ويبتدع اسلوباً جديداً كل ثلاث او اربع سنوات، مستمداً وحيه من كل ما سبقه من اساليب فنية: ولكنها جميعاً موسومة بطابع يتبينه المشاهد في الحال: طابع بيكاسو الفردي. وما انقضى العقد الاول من القرن حتى كان هو وجورج براك قد أوجدا «التكعيبية» Cubism.

والتكعيبية في الواقع، كما قلت، ترجع اصولها الى سيزان، الذي كان يهمه في الصورة القوة والصلابة وتوازن الكتل ووضوح الخطوط الخارجية. فتطور فنه على ايدي بيكاسو وبراك وجماعتهما اذ قالوا ان الخط المستقيم اقوى من الخط المنحني، فاذا اردنا الايحاء بالقوة كان علينا ان نحول الاشكال الى خطوط مستقيمة او أشكال تكعيبية مجسمة، بعضها متراص فوق بعض. ولذلك اهملوا التظليل والمنظور، واهملوا حتى الالوان، فما كانوا يستعملون في البدء الا الواناً قليلة جداً باهتة او رمادية. ومن الواضح ان النتيجة كانت ابتعاد الصورة عن الواقع كل البعد، بحيث أضحت تركيباً هندسياً للاشياء المرئية. وكان سيزان قد قال: «إن المرئيات جميعها يمكن تحليلها الى اشكال ثلاثة: المخروط والاسطوانة والكرة» واذا الصور التكعيبية تطبق هذا القول بحذافيره على المواضيع المرسومة، فالى جانب المكعبات المتراكمة او الخطوط المتقاطعة لا نرى الا الاشكال الكروية او الاسطوانية او المخروطية

ولكن سرعان ما تطور هذا الاسلوب - ولا سيما على يدي براك - الى فن عماده الخطوط المستقيمة والمستديرة، والالوان المتقابلة Contrasted colours، واصبحت الصور التكعيبية التي رسمها براك شيئاً رائع الجمال، تختلط فيها الوجوه والاجسام والقوارير والمزهريات والآلات الموسيقية وزجاجات الخمر - فتوحي بلذة الحياة ونشوتها.

وفي اثناء انتشار الحركة التكعيبية - اي بين ١٩١٠ و١٩٢٠ قامت حركة اخرى دعاها اصحابها «المستقبلية» Futurism. وكان مبعثها في ايطاليا، وزعيمها رجل جمع بين الفن والتفكير السياسي: مارينتي Marinetti. ونظرية هؤلاء الجماعة هي اننا نعيش في المستقبل لأن كل لحظة من لحظاتنا تندفع الى اللحظة التي تليها. اذن لا سكون في الحياة، ولذلك فعلى الصورة ان ترسم الحركة وتوحي بها. وعدا هذا فان الحركة - التي تسيرنا دوماً الى المستقبل - يجب ان تكون حركة قوة وعنف. فالحياة للاقوياء، وهي لا تدوم بلا عنف.

وكان مارينتي ينتقل من بلد الى آخر يعلن للناس «بيان المستقبليين»، ومعه طبل كبير. فاذا ما قرأ بنداً من بنود هذا البيان، ضرب الطبل ضربة عنيفة، وانتقل الى البند التالي! وفيما يلي نبذة من هذا البيان المكتوب سنة ١٩٠٩:

«الماضي بلسم السجناء والمقعدين والاناس المحتضرين الذين يرون المستقبل مسدوداً امام اعينهم. اما نحن فنرفض الماضي. انا شباب اقوياء، وان الحياة لتتدفق في عروقنا - انا مستقبليون!

«المتاحف مقابر.

«على الشعر ان يكون هجوماً عنيفاً. لا ابداع بدون هجوم عنيف...»

ولكن لم تعمر هذه الحركة كثيراً، وانضم مارينتي وجماعته الى موسوليني، فكان فيهم في اعراض الفاشستية التي كانت تسير اليها البلاد بسرعة، وبخاصة بعد خيبة الحرب الاولى ومآسيها.

***

وفر ولدت هذه الحرب وما خلفته من مرارة وبؤس نزوات كثيرة، دفعت بالأدب والفن في مسالك غريبة، حتى شعر الكثيرون بان الجيل الجديد من المبدعين لا يريد الا تحطيم ما تبقى من الحضارة الاوروبية. غير ان بعض النزوات ترك اثراً لا يمحى في الفن الجديد، بل انه - عدا كونه صورة مريعة لنفس اوروبا العليلة، فتح ابواباً جديدة لانطلاق الخيال، ويسر للابداع الانساني صوراً لم تحلم بها البشرية من قبل.

والسريالية Surréalism أهم هذه المسالك، وقد سار فيها جماعة من الاذكياء المخلصين، وكذلك نفر غير قليل من الدجالين والمهرجين. وكان العامل الاكبر في وجود هذا الاتجاه نظريات فرويد في اللاواعي «او العقل الباطن». ولا ريب ان فرويد حين توصل الى نظرياته لم يكن رائده الا البحث الفكري في سبيل خدمة الطب، ولم يكن يتوقع ان يصبح يوماً نبي الحركات الفنية والادبية لمدة طويلة. ومن الممتع ان نلاحظ

هنا ان نبي الناس في القرن الثامن عشر – عصر العقل the age of reason – كان الفيلسوف ، لانه رمز الفكر . وكان نبيهم في سواد القرن التاسع عشر – عصر الرومانسية المتأججة – الشاعر ، لأنه رمز الخيال . ثم أضحى النبي في عصرنا المحلل النفساني : لأنه ، ولا ريب ، رمز امل الناس في الشفاء مما يعتور نفوسهم من الم طاغ وشقاء عام .

اذن فان نظريات فرويد في اللاواعي سيطرت على الفكر واوحت لاوروبا المنهكة بامكانية حياة جديدة وأمل جديد . فحاول الرسامون ان يتغلغلوا في خبايا اللاواعي ، فسمحوا لانفسهم ان يرموا بحيث تتحرك ايديهم دون ارادة لكي يدفعها العقل الباطن حسبما شاء . وكذلك حاولوا ان يصوروا الاحلام ، او يصوروا صوراً هي كالاحلام في جوها المليء بالرموز الغامضة ، ولم يهمهم قط ان يجعلوا صورهم مفهومة : هل من أحد فهم الاحلام ؟ هل من احد استطاع ان يشرح حلماً شرحاً وافياً ؟ لقد حاولوا ان يستخرجوا الاوهام النيوروزية من نفس القرن العشرين المريضة ، ولعلهم كانوا يأملون ان تكون نتيجة ذلك شفاء تلك النفس ، حين تعرف اسباب تلك الاوهام والمخاوف والخيالات التي تلازمها ، كما في معالجة ذوي الامراض العصبية .

وقد قاد هذه الحركة جماعة من الرسامين الحاذقين منهم : جورجو كيريكو الايطالي – وكان قد بدأ برسومه السريالية قبل ظهور الحركة السريالية رسمياً في سنة ١٩٢٤ ، ومارك شاغال الروسي ، وجان ميرو ومكس اربست الفرنسيان . واشتهر كذلك فيما بعد بالسريالية سلفادور دالي « اسباني » ، إيف تانغي « فرنسي » بول ناش وادورد برا « انكليزيان » ، جاك دلفو « بلجيكي » ، وغيرهم . واكثر صورهم فيها أعماق بعيدة ، وتوحي باتساعات وامتدادات كانها من خلق الحلم ، وفيها عادة اشخاص – او اجزاء منهم – يملأون نفس المشاهد شعوراً بالوحشة ، كانما اوجدهم الالم هناك وقد تقطعت بين بعضهم البعض اواصر الاتصال : إنهم ليعبرون عن الوحشة الرهيبة التي في نفس الانسان .

وقد كانت باريس مركز هذه الحركة – كما كانت مركز الحركات الفنية جميعها منذ القرن الماضي . ولم تقتصر على الرسم بل اشترك فيها الكتاب والشعراء والنحاتون ، بل وبعض المخرجين السينمائيين والمسرحيين . وكان ان اعلن الحركة رسمياً جماعة من هؤلاء في سنة ١٩٢٤ في بيان مشهور ، اعقبوه ببيان ثان كتبه اندريه بريتون . وهو يقول فيه :

« إن كلمة السريالية – اي « ما فوق الواقعية او ما وراءها » – تعبر في رأينا عن الرغبة في تعميق أسس الواقع ، والرغبة في الوصول الى وعي بالحياة اكثر وضوحاً من قبل ، الى وعي بها اعنف عاطفة واشد شعوراً ... لقد حاولنا ان نصف الحقيقة الداخلية والحقيقة الخارجية كعنصرين هما في طريقهما الى الاندماج لكي تصبحا في النهاية حقيقة واحدة . ان هدف السريالية الاسمى هو هذا التوحيد النهائي إذ ان الحقيقة الداخلية والحقيقة الخارجية هي الآن ، في المجتمع الراهن ، على طرفي نقيض . وعندنا ان هذا التناقض بينهما هو السبب في شقاء الانسان ... ولذلك اخذنا على عاتقنا ان نجابه هاتين الحقيقتين الواحدة بالاخرى في كل مناسبة ممكنة ، دون ان نجعل لأيها أهمية اكثر من الاخرى ... وبذلك جعلنا نتفحص ما بينهما من تجاذب وتداخل ، وفسحنا لتلاعب هذه القوى كل مجال ، لكي تتقارب هاتان الحقيقتان ، فتصبحا في النهاية شيئاً واحداً . »

ويقول النقاد الانكليزي هربرت ريد تعليقاً على ذلك :

« لقد غدا الفنان لاول مرة في التاريخ شاعراً بمصادر إلهامه وغدا يتحكم بالهامه تحكماً واعياً ، لكي يسيره في طريق الفن : وهذا الطريق هو تعميق احساسنا بكلية حقيقة الوجود ، وتنمية وعي الانسان .

« لقد كان الفنان حتى ذلك الوقت تحت رحمة تقاليد الطبيعة « اي تقليد الطبيعة كما هي » ، وبث الحكم ، والمثالية : وكلها تعيق حركة هذه القوى اللاواعية في الحياة . في حين ان نشاط الفن انما يتوقف على هذه القوى اللاواعية فيها .

« وقد استطاع الفنان في بعض الاحيان ان يتخلص من هذه القيود ، فسمح للخيال بان يغير الواقع – رغم انف بعض المفكرين الذين لا يهمهم من الوجود إلا حالة طبيعية راكدة . فانتصر بهذا الفن اناس كشكسبير ، كما ان فيلسوفاً كافلاطون اضطر الى الاعتراف بان هذا الخيال الذي يحول الواقع هو صفة الفن التي تميزه عن غيره من انواع التعبير عن النفس .

« ولكن بريتون اظهر بوضوح ان الفن ليس مجرد إبداع بعيد عن العقل : إنه تداخل العقل واللاعقل ، كانه تلاعب ذهني ، يهدف الى خلق صورة فانتزية : ولكنها في الختام ليست صورة بعيدة عن الحياة : بل انها الحقيقة بعينها . »

بغداد جبرا ابراهيم جبرا

الى مبتذلة

لفؤاد الخشن

من أسرة الجبل الملهم

كنت لي اذ كنت في طهر الندى زهرة فوق شذاها مقفله
برعماً فتقته ، في كمه ، بشفاه بالهوى مشتعله
فاذا السفح فراش ازرق ينكر الوادي وينسى جدوله
وعلى الاوراد لحن عابق من اناشيد الهوى المرتجله !

•

كنت بالامس نشيداً ملهما سكر الليل به اذ رتله
وغوى زند بخال اشقر كاد ان يمحو ثغري مخمله
ونهوداً برعمت في مهدها وفماً يا طيبه ما ابخله !

•

وردة الروض الذي رويته بدموعي ودمي قد بلله
أنا كم الطيب قد فتقته وسقاه ذوب قلبي سلسله ،
لشفاهي ... لدمي المشبوب ... لا لفراشات الهوى المنتقله
او لنحل الروض يحسو طيبه ثم يمضي رفرفات ثمله !

•

حلوة العينين قد عدت كما كنت قبلي طينة مبتذله
فاذهبي الآن لحب تافه وامكثي في رجسه مسترسله
ففمي الملهم لا يهفو الى طيب ثغر غيره قد قبله !

•

يا ابنة الأمس الذي هام به نرجس السفح فابكى مقله
وهوى الحور على اقدامه انملا ضارعة مبتهله
انت بعد اليوم في سمع الورى قصة تروى ولكن مخجله
حلم مستعذب ... اخره موجع التذكار يبكي اوله !

زوجي

بقلم يوسف الشاروني

قصة

٥ من ابريل ...

كنت اسير بالامس مع زوجي ، حين قابلت زينات ، ولم اكن قد رأيتها منذ خمسة شهور - اي منذ زواجي - فاستأذنت زوجي ، ووقفت معها بضع دقائق اسالها عن حالها وصحتها ، فعلمت منها انها لا تزال تشتغل بالتدريس ، وانها كانت قد خطبت ثم فسخت خطبتها . وطلبت منها زيارتي فاعتذرت بكثرة مشاغلها . والواقع انني لم اكن جادة في دعوتها ، فلم تكن لي بزينات علاقة وثيقة في يوم من الايام . ولست اذكر انني ذكرتها في هذه الاشهر الخمسة يوماً ما .

ولكن عندما عدت اسير الى جانب زوجي، رأيت على وجهه بعض الشحوب ، هو يسالني في استياء : هل تعرفين هذه الفتاة منذ زمن طويل ؟ فاجبته بانها كانت زميلتي في الدراسة يوماً ما. فقال في حدة لم اعهدها فيه : ارجو الا تطيلي الوقوف مع من تقابليهن في الطريق وانا سائر معك . فسالته ، لمجرد الحديث ولتخفيف حدة هذا « الرجاء » : يبدو انك تعرفها ؟ فاجاب لدهشتي: نعم لقد كنت اعرفها ذات يوم.

وحاول بهذا ان ينهي الحديث ثم سار صامتاً على غير عادته حتى وصلنا الى المنزل

وفي الفراش تذكرت ما حدث فجاة. وذكرت تفاصيل وجهها، ونبراته وصوت تبادر الى ذهني - لسبب يبدو غير منطقي - ان ثمة علاقة كانت بين زوجي وبين زينات انتهت نهاية غير سارة . على ان هذا كان مجرد خاطر قد يكون تضخيماً لا معنى له لشيء تافه ربما حدث عرضاً ، خاصة ، وان اكثر ما يتبادر الى اذهاننا في مثل هذه الاحوال هو عادة ابعد ما يكون عن الواقع على اية حال فانني اعرف كيف اكشف سر الامر

١٠ من ابريل

عندما جلسنا الليلة للعشاء ، تعمدت ان اذكر اسم زينات امامه ، فقلت له : انني سامي مولودنا الاول باسم « زينات » ان جاء انثى . وقد حدث ما توقعته ، فانه حدق في استياء نحوي ، ثم صمت . فمضت في الحديث قائلة: هل تعرف انني دعوت صديقتي زينات الى زيارتنا ؟ فبدا عليه الاهتمام وقال : ماذا ؟ وهل ستاتي ؟ ثم عاد يقول : زينات لن تدخل هذا المنزل ، لا شك انك تعرفين القصة منها او من زميلة لها ، فاجبت ، وقد علمت انني على وشك الحصول على ما اريد : اية قصة تعني ؟ فاجاب يجب ان اوضح لك الامور يا هدى . ان هذه الفتاة خدعتني ، انها فتاة كاذبة جبانة، انها الفتاة التي ذكرت لك من قبل انها وافقت على زواجي بها ، حتى اذا ما تهيا كل شيء ، فضلت علي شخصاً آخر لان مرتبه يزيد على مرتبي بضعة جنيهات . ولكنه ما لبث ان تركها وانتقمت لي الاقدار . انها فتاة مادية حقيرة ، كيف كنت احبها ؟ هذا هو ما يزعجني يا هدى ... لكن مالي اذكرها الآن ؟ لقد انتهى كل شيء .

ومع ذلك فانه ظل يتحدث عنها نصف ساعة ؟ وكان يعتذر قائلا انه كان يريد الا يذكر لي شيئاً اول الامر ، لكن يبدو له الآن ان اخباري بقصته معها معناه ان علاقته بي قد استوعبت علاقته بزينات ، وهذا معناه ان حاضره معي قد شمل ماضيه ، وهذا هو طريق الخلاص الوحيد من ماضيه .

من الغريب ان ما تبادر الى ذهني منذ ايام كان صحيحاً ! ولست افرق كثيراً بين الكره والحب ، فالكره - مثل الحب - ليس سوى درجة من درجات الاهتمام بالآخر . وانني لأكره ان يهتم زوجي باخرى .

١٣ من ابريل

ليس نقيض الحب هو الكره، بل هو عدم الاكتراث. ان زوجي لا يزال يعيش - بفضل كرهه - مع زينات هذه . وكانما يجد في « كرهه » هذا ما يبرر له ان يجتر ايامه معها . لقد حدثني عنها اليوم ما يقرب من الساعة الكاملة ، مبرراً ذلك بانه يريد الخلاص من ماضيه، وان يستوعب حاضره - يعني انا - كل علاقاته السابقة . وحين ذكرت له انها لا تستحق كل هذا الكره والاهتمام ، قال : وهل تظنيني اكرهها ؟ كلا ، بل انني احتقرها . تصوري اننا كنا نسير على شاطىء النيل في ضوء القمر وهي تقول لي : لن اعرف حباً غير حبك. ثم تدع يدي تضغط على يدها برفق. وبعد ذلك بشهر واحد ، شهر واحد يا هدى، اراها تهينني ؟

ورأيته يتحول امامي الى طفل في حاجة الى

الرعاية والحنان، واتني لأخشى ان يكون زواجه بي مجرد محاولة للانتقام من زينات. فلا شك انني اجمل منها. وانني لأكره ان اكون مجرد اداة لانتقام عاطفي.

٢ من مايو

يا الهي انني لم اشغل بزوجي من قبل مثلما شغلت به هذه الايام! لقد دخلت انا وزوجي مطعما مساء الامس، وفجأة وجدنا زينات امامنا. فبادرت بتحيتها وتقديم زوجي اليها. لقد حاولا ان يجيدا التمثيل باعتبار انهما لم يعرفا بعضهما من قبل امام ثالث يعرف امرهما! لكن زوجي اخطأ في التمثيل، فقد حياها تحية رقيقة جداً لم أسمعها منه لأحد من قبل، ولا حتى لي!

وقلت في نفسي ان مجرد ابتعاده عنها يضخم كرهه لها ويشغله بها دائماً، اما الآن عندما يتقابلان ويتعاتبان بالنظرات، فان كل شيء ينتهي. اليس هذا ما كان من شأن محسن معي؟ لقد ظللت اكرهه عامين، ومع ذلك فبمجرد ان تقابلنا وتعاتبنا لم اعد اذكره الا لماما وهذا ما كنت اريده تماماً.

وجلسنا ثلاثتنا في المطعم، وتناولنا الطعام معاً. وتحدثنا عن الجو وعن الاخبار السياسية وعن الوان الطعام. ويبدو ان كره زوجي قد تبخر تماماً فكان لطيفاً وانيقاً ورقيقاً جداً حتى لقد اندفع في حماسة عاطفية يدعوها الى زيارتنا، ويذكر لها انني اقترحت ان تكون اسم مولودتنا «زينات».

وقد عاد الى المنزل، وعليه آثار الارتياح كانما انتصر اخيراً في معركة كان قلقاً على نهايتها

٢٠ من مايو

لقد صح ما توقعته. فلم يعد يذكر زينات بالخير او بالشر. لقد قضيت على وسيلة الاهتمام بها

٧ من يونيو

زارتنا زينات بالامس. ولم يكن زوجي موجوداً بالمنزل. وقد كنت اتامل طيلة الوقت فيما يمكن ان يجذب قلوب الرجال نحو هذه المرأة. هل هي رقتها حين تضحك ام وحشيتها حين تغضب؟ على اية حال ظللنا ننتظر مجيء زوجي عبثاً ونحن نستعيد ذكريات الدراسة وصديقاتنا وما انتهين اليه اليوم. لكنها ما كادت تخرج حتى اقبل زوجي. فلما اخبرته بمجيئها بدا عليه الاهتمام، وقذف بما كان في يديه على المائدة، ثم خرج يهرول عساه يلحق بها. ثم عاد بعد دقائق يخبرني انه لم يتمكن من اللحاق بها!

٢٩ من يونيو

لقد فوجئت بالامس حين رأيت زوجي مقبلا مع زينات وظلا يتضاحكان امامي بدون اكتراث لعواطفي. ان هذه المرأة اهانتني في انوثتي. لماذا مهدت لزوجي سبيل الاتصال بها انني انا التي اطالب اليوم الا تدخل منزلي، ولن تدخل.

من قال ان الكره يمكن ان يتحول الى عدم اكتراث؟ ومن قال ان ما حدث بيني وبين محسن يمكن ان يحدث هو بنفسه بين زوجي وهذه الفتاة زينات؟ ان الكره قد يتحول الى حب كما ان الحب قد يتحول الى كره!

١٥ من اغسطس

احس صداعا شديداً في رأسي. لست اذكر سوى انني تذكرت ذات لحظة انني شغلت بزوجي عندما رأيته يشغل باخرى. فاردت ان احمله ان يشغل بي بالطريقة نفسها. فاخبرته بقصتي مع محسن، وادعيت انني لا ازال احبه. ولدهشتي وخيبة املي حدث عكس ما توقعت، فقد قال لي جاداً: ولماذا لا تنفصل، وتتزوجين انت محسناً هذا، واتزوج انا زينات، واحسست الجنين يتحرك في احشائي، والدم يغلي في عروقي. لن يحدث هذا ابداً، فليكره زينات من جديد ما دام اهتمامه بها ضرورة له. ان كرهه لها كان يعطيه القوة لكي لا يقترب منها. انه يعرف انه اذا اقترب منها فسيعود الى حبها. لقد كان محقاً في اعتراضه على دخولها منزلنا ولن تعود الى دخوله

٣ من سبتمبر

كنا نحتفل الليلة بمضي اسبوع على ولادة ابني الاول. وبعد ما انفض الاصدقاء والاقرباء، وبقينا وحدنا احسست لاول مرة اننا لم نعد اثنين.

نظر الى طفلنا وقال: كلا، لم يكن حباً لها من جديد. ان الحب ليس سلعة يمكن ان نفقدها ثم نعود نستردها. ان من شوهت الاحقاد حبه لا يمكنه ابداً ان يستعيده من جديد. بل الارجح انها كانت محاولة لاسترداد كرامتي، وكانت هذه المحاولة تحمل في طياتها رغبه في الانتقام فافعل معها ما فعلته هي من قبل معي. وزينات لم تكن قد دخلت المعركة لكي تهزم، والا لظلت بعيداً، كانت تريد ان تظفر هي ايضاً بانتصار جديد. لكنها لم تكن شريرة بالدرجة التي تصورتها يا هدى. كانت تريد ان تتمتع باشفاقها علي، وبهذا تمحو من نفسها ومن نفسي ما كنت اتهمها به من قبل. ولم يستسلم احدنا للاخر، وعرفنا اننا نعذب بعضنا وتنبهت فجأة الى ان الانتقام عاطفة الرجل البدائي،

الزنابق الحمر

لرابندرانات تاجور مترجمة

بقلم احمد عبد الغفور عطار

الزنابق*

الحمر : قصة من قصص شاعر الهند الأكبر رابندرانات تاجور يظهر فيها الصراع الرهيب بين المادة والروح ، المادة بكل ما فيها من قوى الباطل والقبيح ، والروح الذي يعبر عن الحق والخير والجمال ، وينتهي هذا الصراع بانتصار المثل العليا الفاضلة انتصاراً مؤزراً .

❖

وميزة ادب طاغور ان قارئه يشم فيه ارج الزهور ، وتاجور نفسه وردة من الورود الانسانية التي تبيح عطرها كل الناس على السواء : البريء والمذنب ، والجميل والقبيح ، والخير والشرير

اما قصة الزنابق الحمر فتمثيلية من خير ما انتج هذا الشاعر ، بل هي من خير ما انتج الادب العالمي كله - كما يقول النقاد - والقصة نثر كله شعر ذو عبير ونكهة لا تجدهما الا في شعر هذا الشاعر الموهوب

ومن سمات تاجور : الانسانية في اجمل صورها وارفع مثلها حتى ليعده الغرب شاعر الانسانية والفطرة السليمة ، وناهيك بالغرب المنكر كل فضل للشرق ان يعترف بفضل هذا «البنغالي» ويشيد به ويترجم كل مؤلفاته وشعره اكثر من مرة . والزنابق الحمر كاسمها ، وهانذا اجعل حديثي الليلة « طاقة » اقدمها الى المستمع الكريم يانس بمشهدها ويلتذ بشذاها ، عربتها عنه الى لغة الضاد التي تتسع لاي ادب عالمي ينقل اليها .

سادتي ، اهدي هذه الطاقة اليكم وهي وان كانت طاقة واحدة فان في وسع كل مستمع كريم ان يختص بها مستمتعاً ، لانها كشعاع القمر يستمتع به كل فرد فلا ينفد ولا يفنى . واليكم بعض زنابق تاغور

الأزهار لا تتفتح الا اذا حملتها اغصان تتمتع بالنور

تزداد نفاسة الزهور عندما تأتي عن طريق الآلام

الجمال يستجيب للجمال . واوتار عوده تتمزق عندما تحاول القوة انتزاع الجواب منه

لا الوفرة في الذهب تستطيع ان تخلق الجرأة ، ولا الزيادة في القوة تطيق ان تهب الشباب

انا كقمة الجبل ، زينتي في تجردي

ليست الشمس وحدها تخشى الكسوف ولكن المخلوقات كلها تخشاه

إضاعة الوقت سدى ، تبرهن على ثراء المرء في الزمن

لئن ارادت الصحراء ان تطفىء ظمأها الملتهب بامتصاص ري الحقول ، فانها لن تغير الا ان تتسع رقعتها قليلا ، ولكنها لن تستطيع ان تضيف الى نفسها الحياة والبهجة بموت الحشائش والأعشاب

التجسس على مخلوق كالرمل الكبير على الظهر

نحن وحدنا ثمرهم الذي يتلذذون به ، ولنا القشور التي لا تنفع

اولئك الذين يفترسون الحمل يزعمون انهم يعطفون عليه لأنهم تركوا له اظلافه وقرونه ، وهم مع هذا يعترضون على مأمأته عندما يكاد ينزع

الطائر السجين يقضي عطلته في نقر قضبان قفصه

ليس نقر الطائر الأسير قضبان قفصه اعلانا للسرور والبهجة

عندما ييأس القلب الظامىء من الحصول على الماء فان من السهل ان ينخدع بالسراب ، ويندفع وراءه من صحراء الى صحراء

عندما ينبت جناح النمل فذلك نذير موته وفنائه

إن الأنوار المنبعثة من الأرض يمكن ان تشتعل مرة بعد اخرى ، اما النجم اذا انطفأ مرة فقد انقرض

ضوء الشمس البراق على الغابة الملتفة الكثيفة ، المتسلل من ثنايا

* اذيعت من محطة الاذاعة السعودية .

وان الكرامة ايضاً لا تفقد ثم تسترد بل هي شيء ننمو به في كل مجال جديد يبدو امامنا . وخفت ان تكون هذه جميعها وسائل ابرر بها رغبة لا شعورية في الاقتراب منها ، من الانسان الذي سبب لي الماً ذات يوم كالمجرم الذي يدور حول مكان جريمته . وكنت اعلم ان محسناً وهم خلقته انت لكي تبرز امامي معركة علها تصرفني عن معركتي التي كنت جد مشغول بها وكان ثمة طفل ينتظرني ... ان زينات لم تكن سوى الجانب المؤلم في حياتي ، اما انت ... ثم ضمني اليه يقبلني .

عند ذاك انحدرت من عيني دمعتان ، وسمعته يقول : لماذا لا نكاد نعبأ بجانب النور في حياتنا يجب ان نمرن عواطفنا على ذلك وسنساعد بعضنا يا هدى .. ، وغاب عني صوته حين ارتفع صوت طفلنا العزيز وانا اغمغم قائلة : انت زوجي الآن !

القاهرة — **يوسف الشاروني**

الاغصان لا يدهش بقدر ما يدهش النور المنبثق فجأة من حائط ينشق عنه

التاوهات ولولة الحياة على رباطها المزق

لـكي تحصل على نار من شجرة ، يجب ان تشعلها

التحطيم لون من الوان التملك والاستيلاء

يلوح لي انه يلتذ بمنظر القوم وهم يخافون منه ، في قريتنا ممثل يمثل دور شيطان . فاذا بدا في المسرح وارتعب الأطفال منه رقص طربا . وذلك مثله

هنا يتاجر القوم في إخافة بعضهم بعضا .

هبة القلب تزداد نفاسة كلما قدم بها العهد

الألم من اجل الرغبة في القريب طبيعة الحيوان، والنظر الى البعيد والطموح اليه من خلائق الانسان عدونا الأكبر هو الـكبرياء .

العالم العلوي يستطيع ان يبقي رأسه مرفوعا، والتفكير فيه يبعث حماسة الجلال في الجسد

ان قوة قدمي لا تعلم الآخرين الرقص

هناك نهاية للضرورات التي نحتاجها، وعندما يكون طلابنا وجدان ما نسد به الرمق فاننا لا نطمع في مزيد من الشراب بل الثمالة .

ولـكن من يجدون فوق الـكفاية يريدون مزيداً من الشراب ، وما شرابهم الا الذهب

نتيجة الحائط لم تسجل قط اليوم الاخير

كلما اشتد نقيق الضفادع الصفر ترحيبا بالسمك الاسود اذا ابصرته كان ذلك ايذانا لملاح القارب « الصياد » بوجود السمك

انهم لا يحسون الامان الا عندما يسلبون العالم كل ما لديه من قوة

النمر لا يأكل النمر ، ولـكن الانسان وحده يسمن من اخيه الانسان

اولئك الذين يقولون : ان غيرهم يجب ان يموت ليعيشوا . هم وحدهم الذين يعيشون في الواقع .

هؤلاء الافراد الصغار مفروض عليهم ان يستحيلوا رماداً حتى يستطيع الـكبار ان يمشوا على الحجر . وهذا من المبادىء التي تصعد بالمرء الى قمة العظمة .

ليس في التاريخ جيل يجوز ان نطلق عليه انه قديم ، انه تضخم الحاضر وامتداده الدائم

البقر في حظيرته لا يجرؤ على البخل باللبن . بل هو يسيم الزبد خلاله .

الوقار قناع الغباوة

دراسة الآثار قد تفضي بنا الى كشف السر عن تمثيلية الحياة

حضرات السادة ، اليكم ـ الآن ـ بعض اغاني تاجور واغاريده التي ربت بها الى نابق الحمر واهتزت ، واول هذه الاغاريد مقطوعة بعنوان : يا موقظ اشجاني

دعيني استيقظ حتى اغني لك
قلبي يهتز من ندائك ويهفو اليك
اوه ، يا قاطعة احلامي
ظلال المساء تغشى الوادي
والطيور تعود الى اوكارها
والملاح يرسو على الشاطىء
كل شيء يعود الى وطنه
غير قلبي فهو ما زال قلقا
اوه يا موقظة اشجاني

اما المقطوعة الثانية فعنوانها « اصوات »

انا احب ! انا احب !
ان النداء الذي يتعالى
من اعماق البرو ثبج البحر
السماء سادرة كقلب متالم
والافق رطب رقيق كعيون غامت عليها الدموع .
ومن شاطىء البحر ينفجر البكاء والنحيب
وهمسات الأيام المنسية
تولد في اوراق جديدة لتموت من جديد

وعنوان هذه الاغنية ـ وهي الثالثة ـ أليس هو ؟ :

إن من ينتظرني على مدى الأجيال
أليس هو من يجلس بجواري اليوم ؟
يلوح لي أنني اختلست نظرة خاطفة من وجهه
وعند ما انعكس عليه شعاع من نور
ظهر محياه من خلال غبار الزمن
أليس هو من يجلس بجواري اليوم ؟

وعنوان الرابعة : آخر صديق

الشمس متوارية خلف قطعة من السحاب المظلم
والنهار قد اكفهر من الـكدح . وأظلم من غبار العمل
وترك الليل يهبط
والليل آخر صديق للاشقياء المنسيين
دع عيونهم المتعبة تغيم بالضباب
فهم عندئذ سيفتقدون أنفسهم فلا يجدونها

والخامسة بعنوان : املأ الكأس

لقد نضب رحيق حياتي
فاملأ الكأس بخمرة الموت
لتشع ، ويمتلىء بضحكها فراغ حياتي

والسادسة ليست شعراً ، ولا اغنية ، ولـكنها تستطيع ان تصل اليها وتعد منها وعنوانها : أقسى عقاب في الجحيم

أنا اعرف ان جو هذا المكان موبوء يفضى الى احتقار الجمال

يجب ان يكون الجمال في كل مكان حتى الجحيم

ولـكن من الذي يفهم الجمال في الجحيم

ان أقسى عقاب في الجحيم وحرمانهم من فهم الجمال

مكة — احمد عبد الغفور عطار

تنازع البقاء

❖

للفيلسوف الفرنسي الساخر « فولتير » قصيدة موجعة في رثاء مدينة لشبونة عاصمة البرتغال، حين داهمها زلزال عنيف عام ١٧٥٥ وأباد ما يقرب من ٣٠٠٠٠ نسمة من سكانها.

وقد أوحت القصيدة بترجمة قطعة منها، ومع تناقض الاتجاه وعمق فكرة الفيلسوف العظيم فأني راعيت القصد بما يتفق والتقاليد المرعية

***

« ألشبون » ، ما أقسى المصيبة ترتمي عليك ، وقد حل الدمار المزلزلُ
لأشفقت من فرط الشجون ، وما لها عزاء ، سوى أنا جميعاً سنرحل
فما نحن الا كالودائع نتهي الى حيث نهوى للتراب ونمحل
صراع وفتك لا هوادة فيها وعقباهما غول الفجائع يذهل
بنو آدم ، والموت قيد خطاهمو وما لهم واق يصون ومعقل
إذا حان منه الحين ، خروا طواعة وان عمروا ، سيقوا اليه فكبلوا
حياة بالوان العذاب مشوبة تبيد ، ويطويها صفيح وجندل
تدور بها الأيام ، والحي دائب لأهوائه ، يرجو البقاء ويأمل
يرجم للغيب الظنون مقدراً ومن ظنه عادي الردى يتسلل
رزيئة دنيا ، كل نوع لغيره غريم باسباب الفناء موكل
الم ترَ للبازي كيف انقضاضه يعيث باشلاء الرميم ويأكل
فبيناه في مغداه ينعم آمناً يباغته من جانب الأمن أجدل
كذاك ترى للصقر في وكناته رواصيد تلقى بالشباك وتنكل
فبئست حياة الكائنات ، تناسلت وحوشاً تضاغي بالعداء وتقتل
ويعدو عليها الدهر في ضرباته بنكباء لا تبقي ولا تتمهل
فان كان هذا ما خلقنا لاجله فيا سوء ما يشقى به المتعلل ؟!

القاهرة — عبد السلام رستم

شخصيات دستويفسكية : روديون راسكولنيكوف

بقلم نهاد التكرلي

« عرفت روديون في الثمانية عشر شهراً الاخيرة ، فوجدته كئيباً ، عبوساً ، فخوراً بنفسه الى حد الكبرياء . وقد اصبح في الايام الاخيرة ــ ولعل جرائيم هذا الداء كانت تنمو في نفسه قبل هذا الوقت ــ شكوكا مصابا بالوسواس . فهو حليم كريم النفس ، لكنه لا يتحمل اظهار مشاعره وقد يبدو فظاً قبل ان يكون سمح النفس . وفي بعض الاحيان لا تبدو عليه اقل علامة من علامات الوسواس بل يكون بارداً عديم الاحساس بصورة تامة . حتى ليستطيع المرء القول ان هنالك طبيعتين مختلفتين في نفسه تتناوبان السيادة على تصرفاته . انه يكون احياناً صموتاً الى اقصى حد ويبدو له ان يكون كل شيء ، وكل شخص ضده فيضطجع في فراشه من دون ان يعمل شيئاً على الاطلاق ! وهو لا يسرف في التهكم ابداً ، لا لأن طبعه غير تهكمي بل لأنه يزدري تبديد كلماته . انه لا يكترث ابداً ان يسمع ما يريد ان يقوله كل شخص ولا يهتم اي اهتمام بما يلفت نظر كل شخص سواه . ان لديه ثقة كبيرة بمواهبه الخاصة ، ولا مناص من الاعتراف بان هذه الثقة ليست مجردة من كل تبرير . »

هذا هو وصف راسكولنيكوف بطل قصة « الجريمة والعقاب » كما جاء على لسان صديقه رازوميخين . وما مشكلته الا كمشكلة « رجل العالم السفلي » اي مشكلة الحرية الكاملة . فهو تلميذ فقير الحال مزهو بنفسه ، يبحث عن مخرج لشقائه . يتعرف على عجوز مرابية تصبح بالنسبة له مصدر فكرة ثابتة تسيطر عليه الى حد مخيف : اية قيمة لوجود هذا الكائن المؤذي بالنسبة لوجوده ؟ اليس بوسعه اذا ما قتلها واستولى على نقودها ان يمد يد المساعدة الى امه واخته المهجورتين في الريف وان يدفع مصاريف دروسه ويصبح رجلا ذا مركز مرموق ويصنع الخير لكل من حوله ؟ « بدل حياة واحدة تنقذ آلاف الحيوات من الاسن والانحلال ... »

« ... واية اهمية لهذه الساحرة الشريرة في ميزان الحياة ؟ »

كانت خطته منطقية بصورة مخيفة ومغرية الى درجة الخطر .

« وقد عاد الى داره كشخص حكم عليه بالاعدام . فلم يعد يفكر لانه لم يعد بوسعه التفكير في شيء . لقد احس فجاة من اعماق كيانه انه لم يعد يملك حرية الحكم وليست له ارادة وان كل شيء قد نظم هكذا بصورة نهائية . » . وها هي الحوادث تنقاد له وتسهل له الأمر كأنها متواطئة مع نواياه جميعها ، فهو مسحوب بثقل هائل « كان معطفه قد اشتبك من طرفه في اسنان ماكنة قوية فانسحب كله باكمله » . لم يعد بوسعه المقاومة او التردد فيما هو مدفوع اليه ، وها هو يمضي كالمجنون فيضرب ويقتل ويسرق وقد تعاونت الظروف معه بصورة غريبة فلم تترك اي دليل خارجي يعرضه للشبهات .

لكن راسكولنيكوف ما يكاد يتم جريمته حتى تبدأ الدراما الحقيقية لعقابه الباطني . فهو يرتاب في الدافع الحقيقي الذي دفعه الى القتل ويفكر مع نفسه قائلا : « لو كنت قد انجزت العمل بعد معرفة السبب وكانت لديك غاية محدودة واضحة المعالم فلماذا لم تلق نظرة حتى الآن على ما في الكيس من النقود ؟ كيف تجهل ما عادت به عليك هذه الصفقة وبمقتضى اي شيء تجلب لنفسك كل هذه الآلام ؟ » .

ثم يتوصل بالتدريج من مسئلة الى اخرى ومن خوف الى خوف الى اكتشاف الباعث الحقيقي على جريمته ، فنراه يذهب بعد حين الى سونيا ويعترف لها بهذا الباعث قائلا : « اني لم اقتل لكي استطيع مساعدة امي او انقذها من براثن الشقاء ولا

لكي اجعل من نفسي محسناً للبشرية مكرساً القوة والثروة اللتين اعتقدت ان فعلي سيساعدني على اكتسابهما . كلا لم تكن تلك افكاري ، بل اني لم اهتم ان اعرف في تلك اللحظة هل يجب علي ان انفع اي شخص ام يجب ان ابقى طفيلياً اجتماعياً طيلة حياتي . لم تكن النقود هي الدافع الرئيسي الى هذا العمل . بل كان هنالك سبب اخر يدفعني الى ارتكابه . كنت اريد ان اعرف عما اذا كنت دودة كالآخرين او انسانا باكمل معاني هذه الكلمة ، عما اذا كانت لدي القدرة على تحطيم العوائق ام اني مخلوق جبان لا يستطيع امتلاك الحق » .

وهكذا فان راسكولنيكوف كرجل العالم السفلي يختنق بين جدران الاخلاق المقررة وهو يحس في نفسه القدرة على ان يجتاز القطيع المجهول الاسم الذي يحيط به . انه يشعر بنفسه مختلفاً عن الآخرين ، مستجيباً لمصير يختص به ، وحده ، معيناً لمغامرة الاستقلال الروحي الهائلة . ان امثاله من الرجال يحق لهم ان ينكروا جميع القواعد السائدة لأن لديهم قواعد عليا او بالاحرى لم تعد هنالك اخلاق بالنسبة لهم بل حرية كاملة . لم تعد للجريمة بالنسبة لهم قيمة الجريمة ولم يعد العقاب في نظرهم سوى كلمة جوفاء خالية من المعنى . لا شك ان نابليون كان يبرر نفسه هكذا في نظر نفسه ان كان قد شعر مرة بميل الى التبرير . ولذلك نرى راسكولنيكوف يفكر فيه باعتباره «السيد الحقيقي الذي كان كل شيء مسموحاً بالنسبة له . فهو يضرب طولون بالمدافع وينظم مذبحة في باريس وينسى جيشه في مصر وينفق نصف مليون من الرجال في معركة روسيا ثم ينفض يده من القضية بنكتة يطلقها في فلنا . ومع ذلك فالناس يقيمون التماثيل لمثل هذا الرجل بعد موته . وهكذا فكل شيء مسموح اذن ... » اجل كل شيء مسموح لبعض الاشخاص . كل شيء مسموح لمن اراد ان يسمح لنفسه بكل شيء ، لان هذه الارادة هي التي ستكون علامة الاستثناء .

وبالنسبة لراسكولنيكوف كانت العجوز هي العائق الاولي ، لقد كانت جداراً من اللحم يجب هدمه وعبوره ونسيانه من اجل الدخول في طريق الحرية . ولذلك يقول : « لم تكن مخلوقاً بشرياً تلك التي قتلتها بل مبدأ هدمته . » وقد فكر راسكولنيكوف انه اذا ما هدم هذا المبدأ فسيحظى بمطلبه ويصبح انساناً اعلى أي يصير آلها وسيتذوق طعم الراحة ويجد نفسه مستحوذاً على الاستقلال الذي هد اسواره في الاخير .

الا انه في الواقع لم يصبح اقل استقلالا الا عندما فر خارج الحالة الانسانية . فها هي فكرة ثابتة اخرى تأكل الشعور بالحرية نفسه ونحن نجد ان هذا الذي اراد الهروب من كل إلزام اخلاقي يفرض إلزاما جديداً على نفسه . انه يفكر في عمله ليل نهار ويترافع ضد نفسه ويدين الذنب الذي كان يريد التفاخر به . وها هي نفس البراهين ونفس الاجوبة ترهقه وتطارده باستمرار وهو منقسم على نفسه ، ويصبح محامياً عن نفسه ومحامياً عن ضحيته . انه لم يعد فرداً بل مسرحاً للمجادلة والنضال .

القتل اذن لا مبرر له في نظر الضمير العميق وان شخصية القاتل تتحلل وتضيع كجثة الضحية سواء بسواء . ليست هنالك غاية مهما كانت سامية ولا اي مثل اعلى ولا اي « دين » بوسعه ان يأذن بالجريمة . وكل من يرفع يده على قريبه يرفع يده على الله .. على نفسه . فراسكولنيكوف عندما ترك فأسه تسقط على يافوخ العجوز لم يقتل هذه المرابية الشرهة بل قتل نفسه او بالاحرى قتل النور الالهي الذي كان يحل فيها . ولذلك نراه يصرخ امام سونيا قائلا : « لكني لم اقتل يا سونيا سوى قملة ، قملة شريرة قذرة لا فائدة لها » . فتجيبه سونيا : « لقد كانت هذه القملة مخلوقاً بشريا . »

لكل حياة انسانية من القيمة اكثر مما للفكرة المجردة التي يحملها اى فرد ولا شيء انسانياً يستحق موت انسان ، لان هذا الانسان اياً كان ليس الا صورة الله . اجل ان هذه المرابية التي كانت « القملة المؤذية التي لا فائدة لها » ، ومرملادوف السكير الجبان ، وسونيا هذه العاهرة الحكيمة ، كل هؤلاء محبوبون من الله وكلهم مجبولون على « صورة الله » . قد يكون الامر هائلا لا يمكن ادراكه لكنهم بالنسبة لله موضوعون على مستوى راسكولنيكوف .

وهكذا فان راسكولنيكوف ما يكاد يتخطى الجدار حتى يترنح من اول خطوة يقوم بها . انه في هذا السهل الواسع ليس في داره وها هي قواه التي استطاعت ان تحمله عبر السياج تخونه هنا فجأة . فنرى الرجل الذي اراد ان يصير انساناً اعلى يرتجف ويرثي لنفسه كانه طفل في غرفة مظلمة . لقد اصبح بعيداً عن الجميع ، غريباً عن الجميع وعن نفسه. لقد اصبح شخصا «آخر» وها هم الذين يتصلون به يعدونه مجنوناً وهو يفر من هذه المخلوقات التي لم يعد لها ما تشترك به معه ويتجه نحو البائسين .

انه يحب مرملادوف السكير وكاترين ايفانوفا العجوز المصابة بالسل وسونيا التي تتاجر بعرضها لتعيش واخوتها واخواتها ولكن هؤلاء ليسوا مثله كذلك . ان جريمته تعزله وهو في مركز التيار الانساني وهي تحده الى ذاته، ولم يبق الا الاعتراف الكامل والعقاب المفرط بوسعهما ان يعيداه الى اعماق الجماعة... ومع ذلك فهو يخشى ان يفتضح امره وان يوقف ويحاكم . فنراه يخالط رجال البوليس ويتحادث معهم عن مقتل العجوز، ونحن نجد ان الحاكم الذكي پورفير الذى كان يشك فيه منذ زمن طويل يبعث به بهدوء شيطاني فيقول له : « انك لو ارتحلت ستعود الينا لانك لا تستطيع التخلي عنا .. بل اني مقتنع بان الامر سينتهي بك الى ان ترغب في قبول الالم . »

وهكذا فقد كانت تجربة الحرية قاسية شديدة الوطأة على راسكولنيكوف . واننا لنجده بعد حين ـ وهو الانسان الاعلى ـ يخر على ركبتيه عند اقدام سونيا الفتاة العاهر ويعترف لها بجريمته فتنصح له ان يبلغ الخبر الى البوليس . ويقول لها : « هل تريدينني ان اذهب الى السجن يا سونيا ؟ » فتجيبه : « ان الواجب يقضي بقبول الالم وافتداء النفس بواسطته » . وسنراه يطيعها ويذهب الى طريق مزدحمة بالمارة فيجثو على ركبتيه ويقبل « الارض التي نجسها » ثم ينفلت ذاهباً الى مركز الشرطة ويقول بهدوء ووضوح : « انني انا الذي قتلت العجوز التي كانت تتعاطى الرهن واختها اليزابيت بواسطة الفاس وكانت السرقة هي الدافع الى ذلك . » . وسيحكم على راسكولنيكوف بالاشغال الشاقة فترافقه سونيا العاهرة الشابة الى سبريا للتخفيف عن آلامه .

غير ان دستويفسكي يقول : « ومع ذلك فهو لم يندم على جريمته ... » . لقد كان يسال نفسه : « ما الذي جعل فعلي يبدو لهم كريهاً الى هذا الحد ؟ لانه جريمة ؟ ولكن ما معنى الجريمة ؟ ها ان ضميري مطمئن وانتم تقولون باني ارتكبت جريمة القتل .. حسنا ! اقطعوا راسي لكي تطبقوا قانونكم بحذافيره ولا تعودوا الى هذا الحديث ... » . لقد كان يعتقد بان اشخاصاً عديدين ممن احسنوا الى البشرية لم يبرر عملهم سوى اصرارهم على السير في الطريق الذي اختاروه، طريقهم . اما هو فقد تردد وانقلب على عقبيه ، ولم تكن غلطته سوى انه لم يستطع الصمود بل بلغ امره الى البوليس .

غير ان الايمان سيولد فجأة من اعماق هذا الافك ومن ظلمات هذه الشكوك . أجل فجأة وكانه شرارة تلهب كومة من التبن . كانت سونيا قد قرات له سابقاً حكاية بعث لازار كما وردت في الانجيل على لسان القديس يوحنا : « انا البعث وانا الحياة . وكل من يؤمن بي سيحيا ولو كان ميتاً وكل من يحيا ويؤمن بي لن يموت الى الابد . » . هذه الكلمات ، لم يكن قد فهمها عندئذ الفهم الذي تستحقه وها هي الآن كلمة البعث تتصاعد الى شفتيه هنا في سبريا . « كيف حدث هذا؟ ان راسكولنيكوف نفسه لم يكن متحققاً مما حدث . ولكن دافعاً قوياً استولى عليه فجاة والقاه عند قدمي سونيا ... وقد اراد الاثنان الكلام فلم يقدرا عليه وكانت عيناهما مغرورقتين بالدموع . كان كلاهما شاحب الوجه مضطرب الحال . غير ان فجراً لمستقبل جديد وبعثاً كاملا للحياة بدأ يتلألأ على وجهيهما المنهكين الآن ... » .

وهكذا فبفضل سونيا العاهرة الصغيرة عرف راسكولنيكوف الحرية الحقيقية اخيراً ، وهذه الحرية ليست حرية متغطرسة . فالانسان ليس هو الله وليس لاقوى الناس من وجود الا اذا

كان الله موجوداً . اما نكران الله فهو نكران الانسان لنفسه ، وما ارادة الانسان ان يصبح الهاً الا ارادته ان يموت كانسان.. ارادته ان يفنى من الكون وان يوجد ولا يعود موجوداً في نفس الوقت .

وبالنتيجة فان حرية الخير موجودة بين جدران الاخلاق المقررة ، وهذه الحرية الصغرى تفترض امكان الخطيئة. فالانسان بوسعه ان يصنع الشر لكنه يمتنع عن صنعه لأن « ذلك ممنوع » او لأنه يعرض نفسه « للعقاب » او « السجن » او «الجحيم» اما اولئك الذين يحتقرون هذه التعليمات الحمقاء التي تأخذ بيد الانسان . اولئك الذين يعافون وصفات المطبخ الروحي هذه وهم المفكرون والاقوياء ، فانهم يجتازون الجدار . وعندئذ يجدون انفسهم في نطاق الحرية الثانية ، الحرية النهائية . فلا يعودون يصنعون الخير اذعاناً لقاعدة تعلموها منذ طفولتهم ولا يعودون يخشون الشر بسبب عقاب ارضي او سماوي ، بل يصنعون الخير او الشر بمقتضى « ارادتهم الخاصة » وبمقتضى غريزتهم . وبعض هؤلاء يتصورون انفسهم اناساً فوق البشر فيتحطمون من اول تجربة يقومون بها. بينما يكتشف الآخرون حلاوة صنع الخير من اجل الخير ، فيؤدي بهم هذا الخير الحر الخالي من الضرورة ، هذا الخير الذي مصدره الحب الخالص الى طريق الله بصورة غير محسوسة وينقذهم في الاخير .

وهذا السلام في احضان الله سيتوصل اليه راسكولنيكوف بواسطة منحنى الجريمة . فهو قد صنع الشر وارتكب الخطيئة بدافع الكبرياء . وبذلك لم يحسن التصرف في الحرية التي كانت من نصيبه . لقد اراد ان يحطم ما كان انسانياً فيه واعتقد انه اذا ما عبر الجدار فستضمحل غريزة الخير هذه في قلبه قبل كل شيء ، واذا بغريزة الخير هذه هي التي تثبت وتقاوم عند المحنة اكثر من اي شيء، وهي التي تعذبه وتعطفه نحو الارض من اجل خلاصه . ان الندم سيفتدي الخطيئة وسيشتري الحرية ونحن نجد ان راسكولنيكوف في وضاعته التي عليها يفهم نفسه ويفهم الله ويفهم نفسه في الله وفي العالم . انه قد وجد مكانه ووجد حياته . « هذا الذي يحفظ حياته سيفقدها ،وهذا الذي بسببي يفقد حياته سيجدها . » وهكذا فان دستويفسكي يؤلف بين النتيجة التي ينتهي اليها وبين كلمات الانجيل نفسها .

نجذب الى راسكولنيكوف ــ وهو مركز القصة والنقطة الحية الحمراء فيها ــ مصائر مخطئين آخرين يخرقون قوانين الاخلاق السائدة مثله ثم يعفى عنهم مثله ايضاً . في حانة داعرة يلتقي راسكولنيكوف بمرملادوف السكير زوج كاترين ايفانوفا ووالد سونيا . ومرملادوف هذا جبان فقد مكانته وصار يشرب بكل ما يملك . فهو قد رهن ملابس زوجته وارتضى أن تتاجر ابنته الكبرى بعرضها من اجل ان تكسب النقود التي لم تعد له الشجاعة على كسبها . وهو يسبر بنوع من اللذة البغيضة اعمق اعماق سقطته واستحالة اقالته من عثرته على هذه الارض . فيقول : « لكنه سيرأف بنا هذا الذي هو رؤوف بالجميع . هذا الذي ينفذ ببصره الى جميع القلوب وهو الحاكم وحده . انه سيسأل في يوم الحساب ؟ اين الفتاة التي كانت تشفق على ابيها ولا تصدف عن هذا السكير الذي ادمن على الشراب ؟ اين الفتاة التي ضحت بنفسها من اجل زوجة ابيها الفظة المصابة بالسل ومن اجل اخوتها الذين لم يكونوا من لحمها ودمها ؟ ثم يقول : « تعالي ، لقد عفوت عنك وغفرت لك جميع ذنوبك لانك احببت كثيراً » . انه سيعفو عن سونيا . اجل اني اعرف انه سيعفو عنها . انه سيحا كمنا جميعاً وسيعفو عنا جميعاً وهو سيدعونا مع الباقين ويقول : « هيا ! تقربوا انتم ايضاً ! تعالوا ايها السكارى ، تعالوا ايها الفاسقون !... » وسنتقدم جميعاً من دون خجل .. فيقول لنا : « ايها الحمقى ان صوركم تماثل صورة الحيوان تماماً وانتم تحملون طابعه ،لكن اقتربوا مع ذلك » . وعندئذ سيصرخ الحكماء والعقلاء قائلين: « ايها المولى ! لماذا تستقبل هؤلاء ايضاً ؟ . » فيجيبهم : «انني ان كنت استقبلهم ايها الحكماء والعقلاء فلان اي واحد منهم لم يعتقد بنفسه جديراً بالعالم الآخر . » ثم انه سيفتح لنا ذراعيه وسنلقي بانفسنا بينهما وننخرط بالبكاء وعندئذ نفهم كل شيء ويفهم العالم كذلك . »

وهكذا فالوضاعة فرصة للافتداء بالنسبة لمن يعانيها ، وسونيا العاهرة الصغيرة تعاني هذه الوضاعة اكثر من اي شخص آخر . فراسكولنيكوف يقول لها : « انت ايضاً قد تجاوزت القاعدة واستطعت ان تخرقيها . لقد رفعت يدك على نفسك وهدمت حياتك ، حياتك الخاصة . ولهذا فمن المناسب ان نذهب معاً وتتابع السير في نفس الطريق . » غير ان راسكولنيكوف يستخلص غروراً لانهائياً من رجوعه الى الحدود الانسانية الى الوراء بينما تعرف سونيا الصغيرة انحطاطها وترتضيه كداء لا مناص منه . ولذلك نراها تتعلق باخلاص بالرجل الوحيد الذي لم يحتقرها وتشعر نحوه « بحنان لا يرتوي » حسب تعبير

دستويفسكي . وامام هذا الطهر المصان وسط الخطيئة نفسها ، امام هذه الوضاعة الهادئة يجثو راسكولنيكوف على ركبتيه بوقار ويقول : « انني لا اركع امامك شخصياً بل امام الانسانية المتألمة التي تجسدت فيك ... » « ـ لقد قلت لك ما قلته وانا لا افكر في عارك ولا في خطيئتك بل افكر في الملك العظيم وحده . » ويقول لها في مكان آخر بنوع من الهياج النفسي : « الا هل خبرتني ، كيف يمكن ان تمتزج في نفسك هذه الحمأة وهذه الخطة مع اشد العواطف قدسية واكثرها تناقضاً .. ؟ »

وقد رأينا ان راسكولنيكوف لا يعترف الا لسونيا بجريمته فتقول له هذه : « ماذا فعلت ؟ ماذا فعلت ضد نفسك ؟ كلا ، كلا ، لا يوجد الآن في العالم من هو اعظم شقاء منك ... » وفي الاخير ستتبعه الى سبريا لتحضر ساعة بعثه . وصورة الخاطئة الشفافة هذه ، صورة المرأة التي ادانها القانون الارضي وعفت عنها السماء من اشد مخلوقات دستويفسكي جاذبية . ان عزلتها وحلاوتها تؤذيك ، فيشعر الانسان بصورة خفية انه مسؤول عن نكبتها كأنها قد حملت على عاتقها خطيئة البشر الكبرى كلها . اننا نشعر كانها قد انقذتنا بهلاكها . لكن اي شخص من هؤلاء الذين يعتقدون انهم هالكون لن يهلك في الحقيقة . لانه لا يوجد شخص مذنب والا فالجميع مذنبون .

وهنالك الى جانب سونيا ، دونيا اخت راسكولنيكوف ، دونيا الرقيقة المستسلمة التي تعرف حصتها من الخطيئة المتلالئة . نها هي الاخرى قد ارتضت ان تبيع نفسها الى لوجين ـ هذا الوغد البارد الدم ـ فاصبحت خاطئة وقديسة . خاطئة لأنها تريد ان تهب نفسها لمخلوق لا تحبه وقديسة لانها لا تفعل ذلك الا لانقاذ اخيها . وراسكولنيكوف يقول لدونيا : « ان هذا الزواج فضيحة واني اقبل ان اكون دنيئاً لكني لا اريد ان تكوني انت كذلك .. »

وهنالك « خاطىء كبير » آخر هو سفيد ريجايلوف الذي كانت تشتغل عنده اخت راسكولنيكوف كمربية فحاول اغراء هذه الفتاة . وهو رجل خليع الى اقصى حد ، لا يعتقد في شيء ولا يخاف شيئاً . والحياة الثانية ليست بالنسبة له سوى غرفة صغيرة ، او كما لو قلنا غرفة حمام في الريف مسودة بالدخان تعشعش العناكب في زواياها وهذه هي الابدية كلها . » انه يستحوذ على لذته اينما وجدها لا يكترث للنتائج التي يمكن ان تؤدي اليها نزواته . وهو يقول عن زوجته الميتة : « تصوروا اني لم اوجه اليها الا ضربتين من سوطي . » وسفيد ريجايلوف هذا قد اغتصب سابقاً فتاة صغيرة صماء بكماء لا يتجاوز عمرها الاربعة عشر عاماً ، قد شنقت نفسها في غرفة الحبوب بعد ان نبذها . وهو يلحق بدونيا اخت راسكولنيكوف الى سنت بطرسبرج ويطاردها محاولا جذبها اليه . ثم يوقع ويأخذها بها الى غرفة ويعرض عليها انقاذ اخيها ـ الذي استمع الى اعترافه لسونيا صدفة ـ مقابل استسلامها له . وتحس دونيا انها وقعت في الفخ فتسحب مسدساً وتريد قتل هذا الذي غرر بها . ثم ترمي السلاح باشمئزاز وتبقى ساكنة لا تبدي حراكا . غير انه لما يرى انها « لا تحبه » الى درجة تحملها على قتله ، يتركها لشانها ويرحل حزيناً مكتئب النفس . ان هذا الرفض ، هذه الرفعة في الرفض

قد ارهقته واثقلت عليه.. وها هو الذي لم يحب او يكره شخصاً في حياته يحس بالهوى الجامح يستيقظ في نفسه ويعرف في الاخير ذلك الاقتراب المخيف للعاطفة بعد ان قضى حياته لا يشعر بغير الاحساسات .

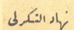
« لقد بقي في هذا المساء يطوف بالحانات والمساكن القذرة حتى الساعة العاشرة ليلاً . » ثم نراه يقصد الى دار سونيا ويمنحها مقداراً كبيراً من النقود ويمر بعد ذلك بخطيبته ـ وهي فتاة صغيرة نحيفة الجسم باعها له ابواها المعدمون ـ فيهب عائلتها هدية تقدر بخمسة عشر الف روبل ثم يستأجر حجرة في فندق حقير ويحاول النوم اخيراً . غير ان الكوابيس المتلاحقة تنهكه وتزعجه . فهو يرى في الحلم صبية مضطجعة في تابوت ويعرف ان هذه الطفلة ليست سوى تلك الفتاة التي انتحرت بسببه . ثم يبدو له انه يكتشف فتاة صغيرة لا يتجاوز عمرها الخمس سنوات وهي ملقاة في زاوية احد الاروقة ، فيحملها عائداً بها الى غرفته ويحاول ان يرقدها في فراشه . لكنها ما تلبث ان تدير اليه وجهاً ملتهباً ينضح بالشهوة وتمد نحوه ذراعيها فيصرخ وهو يرفع يده عليها : « .. آه انها اللعينة . » ولكنه يستيقظ في تلك اللحظة . وبعد ليلة هائلة تنتابه فيها الكوابيس وتقض مضجعه الفئران التي يغص بها الفندق ينزل الى الشارع في نوبة من فرط الحمى والاشمئزاز وينتحر .

وهكذا فان مرملادوف وسونيا ودونيا وسفيد ريجايلوف ولوجين . كل هؤلاء الاوغاد والداعرين وجميع هؤلاء البؤساء الذين يكونون الطاراً لصورة راسكولنيكوف الواسعة ، يحملون اعذارهم في انفسهم . انهم يعرفون انحطاطهم . وعند دستويفسكي لا يستحق المحاكمة سوى الحكام وحدهم . لا شيء دنيئاً على هذه الارض سوى الانسان الخالي من الرغبة .. سوى الروح الجافة والعقل المغرور ، ولا توجد اية جريمة تزهق الحق في العفو . فالحب ينقذ كل شيء .. الحب والتواضع لأن الحب الانساني لا بد ان يكون متواضعاً .

لقد لام النقاد دستويفسكي على انه لم يصور سوى المرضى والممسوخين ونعتوه « بالنبوغ القاسي » . وقد قدر الدكتور تشجن الاختصاصي الكبير في ادب دستويفسكي ان ربع الشخصيات الدستويفسكية مصابة بمرض عصبي ، فنراه يعد ستة من هذه الشخصيات الشاذة في « الجريمة والعقاب » واثنين في « الاخوة كارامازوف وستة اخرى في « الشياطين » واربعة في « الابله » واربعة في « المراهق » ولا مجال للنكران بان راسكولنيكوف « يرتجف من الحمى » او « يصاب بالهذيان » بصورة مستمرة وسفيد ريجايلوف تنتابه نوبات من هلوسة اللذة المخيفة ، وان مرملادوف يقف على عتبة الهذيان الناتج عن الادمان في الكحول وكاترين ايفانوفا تتشنج في سعال المرحلة الاخيرة من السل . او بالاجمال ان سنت بطرسبرج كلها « مدينة من انصاف المجانين » كما يقول سفيد ريجايلوف . ولا شك اننا نجد لاول وهلة ان لا شيء يربطنا بهذه المخلوقات القلقة المضطربة ، لكننا نشعر بانها تجذبنا مع ذلك كأنها قعر هاوية مخيفة . صحيح اننا لم نصادفها في حياتنا غير انها مألوفة لدينا بصورة خفية . اننا نفهمها ونحبها ، واخيراً فنحن نتعرف فيها على انفسنا . والسبب في ذلك هو انها ليست اكثر شذوذاً منا : لانها هي ما لم نجرؤ نحن ان نكونه . ان هذه الشخصيات تعمل وتقول ما لم نجرؤ نحن على عمله وقوله . وهي تدفع الى ضوء النهار ما نطمره نحن في ظلمات ضمائرنا . ولو سأل سائل : ما قولكم في امراض هذه الشخصيات وفي جنونها نجيبه بان هذه ليست سوى (اعذار) فقط . لقد كان دستويفسكي مضطراً لكي يجعل القارىء يرتضي وجود هذه المخلوقات ويقبل منطق مناقشاتها وافعالها ان يدفعها بالجنون وبالسل وبالصرع وبالهستريا... لقد اتهمها ليبرىء ساحتنا وحملها هذا العبث التي ترزح تحته ليزيحه عن كاهلنا. لقد جعل لنا هذا الامتياز الذي يخولنا الصاق رقعة المرض الباثولوجي على ظهورها ، وجهز هذه الشخصيات ـ وهي ليست سوى افكار متحركة ـ بسجل صحي : « ... سيبقى ما اقصه هنا في حيز الامكان تماماً لانه يدور حول انسان فقد اتزانه . »

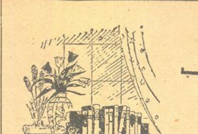
والنقد التقليدي يصطدم بهذا العذر ويتفحص كتب دستويفسكي باعتبارها نبذاً في علم النفس المرضي . فهو لا يفكر في ان يرفع القناع وينظر الى الوجه الحقيقي لهؤلاء الممسوخين ، الى وجههم الانساني الذي هو وجهنا نحن . وقد كتب دي فوج يقول : « اننا سنتساءل مرة اخرى هل يحق للادب ان يتعلق باستثناءات مرضية مثل هذه ! » ولكن اين الاستثناء ؟ واين المرض ؟ لا بد للانسان الذي يكون مريضاً من جسم يملكه ، ومخلوقات دستويفسكي لا اجسام لها . انها ليست سوى ناقلات لافكارنا الخاصة ، ليست سوى افكارنا . واذا كان العالم الذي تتحرك فيه يشابه عالمنا فما ذلك الا بسبب خدعة يقوم بها المؤلف .

كم كان الاحرى بهذه الغرف الباردة، ومحلات القمار الآسنة هذه، وهذه الازقة التي ينتشر فيها الضباب، وهذه المصابيح المنتصبة بانحراف في الوحل، وهذه الاقمشة القذرة المعلقة على النوافذ، كم كان الاحرى بهذا كله ان يؤلف لنا اطارات لرؤى في المنام لا وصفاً حقيقياً للواقع! ليس هذا تصويراً واقعياً بل رؤية في كابوس. وحتى التفاصيل التي يوضحها المؤلف في هذه الفوضى من الظلال والحشرات تصعقنا وتبدو لنا كأنها علامات لقسوة خارقة للطبيعة. فهذه «اللوحات التي تمثل فتيات الماتيات» في بيت العجوز المرابية، واستدارات القثاء هذه والبسكويت المسود والسمكة المقطوعة على شكل شرائح» في الحانة، و« هذه الاريكة المبطنة بالقماش الهندي» عند مرملادوف، و« هذا الكلب الكريه الشكل الملطخ بالاوحال من اسفله الى اعلاه وهو يضع ذنبه بين رجليه» ويجتاز سفيد ريجايلوف في اللحظة التي يوشك فيها على الانتحار ... كل واحدة من هذه التفصيلات الدقيقة لها معنى خفي وهي تهزنا كأنها تيار كهربائي. انها لا تصنع شيئاً سوى انها تجعلنا نحس الطريق الذي نعبر فيه من الواقع الى الحلم. انها الوحدة القياسية التي يعرضها علينا دستويفسكي من حين لآخر رحمة بنا ثم نستأنف سيرنا اثناء النوم. لقد اعتبر بعض النقاد راسكولنيكوف عدمياً، فكتب ستراخوف يقول: « هكذا فنحن نرى عدمياً يتألم لاول مرة. عدمياً تعذبه آلام عميقة في انسانيتها. » وصار البعض يقارن بين راسكولنيكوف وبين بازاروف* الثوري بطل تورجنيف. غير ان المسافة بين راسكولنيكوف وبازاروف كبيرة شاسعة. فبازاروف انسان جديد وبطل ينتسب الى زمانه بالمعنى الدقيق: انه عدمي. وعلى العكس منه راسكولنيكوف فهو ينتسب الى جميع الازمان. ليست مشكلة اجتماعية هي التي تقض مضجع راسكولنيكوف بل مشكلة ميتافيزقية. وهو ليس « نتيجة » لطريقة عقلية في التفكير بل نتيجة « للدوام » الانساني. واذا كان بازاروف لا يمكن تصوره الا ضمن اطار القرن التاسع عشر فان راسكولنيكوف يمكن ان يظهر في القرون الوسطى كما يظهر في ايامنا هذه. ان بازاروف انسان بينما راسكولنيكوف هو الانسان.

بعقوبة - العراق —  نهاد التكرلي

* بطل قصة « الآباء والابناء » لتورجنيف.

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي:

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة

في الخارج: ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا: ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج: ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا

او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب: باب ادريس، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة: ٤٧ - ٩٢ / المنزل: ٣٧ - ٤٨ } Tél. { Direct.: 92 - 47 / Dcle: 48 - 37 }

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

رجــاء

مهداة الى «عبيد» البير أديب

لم لا ترفدين الينبوع ؟
وهذه يد الله تأخذ بيمينك
وحبات النور تذر خصلات شعرك
على وهج قبلاته ؟
أتحجمين ؟!
وكل هاتيك الفراديس :
مجال لاعماء وجهك ،
ومدى رحب لاشعاع قلبك ..
انه ثر موار
ولكنه يكاد يتأمن ..
فاقدمي الى الينبوع
وامنحيه انسيابا
وانداحي مع مويجاته
وزيديها حبابا ..
ماذا تنتظرين ؟!
وكوة الوجود الازلي
فتحت لتطل منها على الينبوع
وتؤدي اليه !..
الا تحسين ؟! ايتها المدلة
بانه في شوق اليك وخوف عليك؟
تاملي بعيداً ..
ألا ترين؟!
من تلك الكوة ، من هناك :
انهمار الاهازيج وصخب الاغنيات
ألا تسمعين ؟!
نشيد الملائكة
ودعوات الانبياء والقديسين ؟!
كلها تدعوك ، وتومىء اليك
وترنو نحوك
في لهفة واحتدام
وشهوة وعرام !
افلا تلبين النداء
وتجيبين الدعاء ؟!
لك الله !
يا خالقة الاساطير
ومبددة الدياجير
يا ألق الانسانية
وسر خلود الانسان
لم لا تذهبين ؟!
وهذا قلب الاله :

مفعم بدافق فتنتك ..
ثمل من اكواب روعتك
ها هو يرنو اليك ثانية ويدعوك
ولكنك اوغلت في طلب المستحيل
عبر المجهول ... من مصائرنا
ولم تلبي الدعوة ...
ولم ترفدي الينبوع !!....
فيا لك من قاسية هاجرة !!.
اذهبي عنا ، فما شأنك معنا
اذهبي اليه ... فهناك عالمك
لا هنا ..
كان لك في الامس عشاق كثر
ولكنهم ماتوا !..
وها هم هنالك :
في عالم الخلود: في عالمك انت..
يذوبون شوقا اليك،ويهتفون لك!
فلماذا انت هنا
وقد انصرف عنك عشاقك ايتها البلهاء
ارادك الله-حين هبطت علينا من لدنه-:
ان تكوني للحياة : معنى الحياة
وللقلوب : علة خفقان القلوب
وللعقول : نهاية تفكير العقول !.
ولكننا .. اليوم :
أين نحن منك ؟!
وأين انت منا ؟!!...
.. اتعتقدين :
انك تستطيعين انتشالنا
من حمأة الفساد والرذيلة
وهو الشقاء والعمى ؟!

ثم من يسمع نداءك ،
بين ضجيج الالة،ودوي المدافع؟!
فيا لك من طيبة القلب،رقيقة الضمير!
اذهبي ! ناشدتك الله !
ألم تري اننا لم نقدس
الا شريعة الغاب
ولم نؤله ، الا الذئاب ؟!!...
تلفتي انى شئت
تجدي الالسنة ممتدة لتسخر منك..
والاشداق تتثاءب
اتحتقر مثاليتك وعمقك !!
لقد فقدنا - يا اخت -
اسمى معاني وجودنا
لاننا فقدناك !
وعمينا عن الغاية، ولم نفهم الوسيلة
لاننا لم نجعلك الغاية
ولم نتخذك الوسيلة !...
فدعينا وشأننا. فليس لليلنا من نهار
ولا لهوتنا من قرار !...
دعينا ! فقد عميت القلوب ،
وغشيت الابصار !!...
وغادرينا!
قبل ان ندنس طهرك بالاوضار !
اتركينا ! فنحن :
للارض .. للرجس .. للموبقات!
نحن : للغضب ينصب علينا
في شكل مادة حمقاء
وللهلاك يرسم لنا بريشة علوم رعناء
وللحروب تهديها الينا
مدينة هوجاء !
نحن لسنا - اذن - للخلود
بل للفناء !!...
اذهبي ! - بالله عليك - اذهبي !
فلن نفهمك - بعد اليوم - ،
ولن نهيم بك .. ايتها المحبة!!!..
يا روعة خلود الانسانية ..
يا سر عظمة التاريخ !!!...

باريس خليل شرف الدين

اللص

بقلم نجاتي صدقي

من عادة سكان بيروت الذين لا تمكنهم احوالهم المادية من الهروب الى المصايف ان يلجأوا الى اسطحة بيوتهم في ليالي الصيف الخانقة ، فيتمددون على حصير او فراش ، ويمدون سلكا كهربائياً الى السطح يستنيرون بضوئه ، ويتصيدون النسمات الباردات الآتيات من البحر او من اعالي جبل صنين ، ويتسامرون في مواضيع محلية او عالمية الى ان تتخدر اعصابهم ، وترتخي اجفانهم ، فيتثاءب احدهم فيتبعه الآخرون ، ويكون ذلك ايذانا بانتهاء السهرة .

وكنا نسكن في بيت مع ثلاث عائلات من متوسطي الحال ، الذين يكتفون بالتطلع الى المصايف الجبلية من بعيد ، فنجتمع ليلا على سطح واحد و نتداول الاحاديث ، وكانت الناحية الغالبة فيها احاديث القتل ، والسطو ، والسرقات .

وكان يسكن في شقة من بيتنا هذا رجل فلسطيني ، توظف في حكومة فلسطين سابقاً ، فنال بعد الفاجعة تعويضاً زهيداً مكنه من تأمين معاش أسرته في حدود معقولة من الحياة الانسانية .

وفي احدى الليالي حدثنا جارنا الفلسطيني حديثاً فيه متعة وعبرة ، قال :

ايها الاخوان .. لقد راودتني مؤخراً فكرة الاستقرار في هذه الديار بعد ان قطعت الامل نهائياً من العودة الى مسقط رأسي .. والاستقرار لا يكون حقيقياً الا اذا تمكن الانسان من استملاك بيت مهما كان صغيراً حتى يتحرر تماماً من مصيبة بدل الايجار .

وفكرت منذ اسبوع بابتياع ارض صغيرة او بيت صغير ، اؤمن فيه رفاهية عائلتي وادعم به مستقبلها ، ورحت افتش عنها في ضواحي بيروت ، فقادتني قدماي الى منطقة تقع بالقرب من محلة « س » ، وهناك استوقفت احد المارة وسالته اذا كان يعرف شيئاً عن ارض او بيت للمبيع ، فحدجني بنظرة عوراء ، اذ كان بعين واحدة وقال : ليس لك الان تعتمد على ابي ضبة .. فهو سمسار هذه المنطقة الاوحد .

واقتادني الى السمسار ، فرأيت نفسي امام رجل شبيه باحدب نوتردام ، فسلم علي ، وافهمني بحركاته وغمزاته انني اهتديت الى ضالتي ، ثم قال لي : عندي اراض وبيوت على جانبي الخط الحديدي ، ففي اي جانب تريدها في الجانب الغربي ام الشرقي ؟.

قلت : يهمني السعر قبل كل شيء اما الجانب فياتي بالدرجة الثانية .. اريد ارخص شيء ممكن .

قال : اطمئن لقد بلغت مرادك .

قلت : اود مصارحتك بامر !

قال : انني احب الحديث الصريح .. قل لي كل ما تريد ، واكشف لي عن خبايا نفسك ، وثق بانني اخوك باذن الله .

قلت : انني لاجيء فلسطيني .. وانت ادرى بالحال .. فنحن ابناء جلدة واحدة ، فترفق في المعاملة يا ابا ضبة !.

قال : لاجيء فلسطيني ويحمل مالا ؟.. من اين جئت به يا صاح ؟.. هل بعت لليهود ارضاً ام بيتاً ؟..

قلت : انت مخطيء في تفكيرك هذا يا ابا ضبة ، فالمال الذي احمله هو من تعبي وعرق جبيني ، هو تعويض لبعض ما بذلته من جهود خلال عشرين سنة .

قال ارجوك المعذرة يا استاذ لتدخلي في شؤونك الخاصة ، فانا لم اثر هذا الموضوع الا بدافع التأثر للحالة التي وصل اليها اخواننا اللاجئون .. فتعجبت ان يكون بينهم من يحاول شراء ارض او بيت وهم الذين يقتاتون الدقيق الاسود ، والارز الرطب ، والحمص المسوس ، ويغسلون بصابون اشبه بالعجين .. اجل تعجبت ان اجد بينهم من يحاول اقتناء ملك .. وعلى كل اكرر اعتذاري لك ، وامد لك يد الاخوة .. آه عليك يا فلسطين .. وشد على يدي ، وربت على كتفي ، ومسح عينيه بكفه .. ثم قال : اتبعني يا اخي ، وسيكون لك ما تريده ، ولك ان ترتاح من حيث القيمة والعمولة ، بل والله لن اتقاضى منك اجراً اكثر مما هو مقدر لي ان اتقاضاه !..

وذهبنا معاً فاراني بيوتا صغيرة ، وقطع ارض متناثرة هنا وهناك ، واشار علي ابتياع قطعة معينة منها لانها تقع على مفرق الطرق ، ثم قال لي فجأة : انصحك بان تشتري هذه الارض .. واخشى ان تباع لغيرك اليوم او غداً .. فقل لي بربك هل تحمل الثمن معك ؟.. قل حتى نتمكن من عقد الصفقة وانت الرابح !

قصة

قلت : اجل احمل مبلغاً من المال .. وكان قصدي من هذا الاعتراف ان اطمئنه بانني جاد في الامر .

قال : اذن ادفع لي « عربونا » الان وغداً نذهب الى دائرة الطابو وتتم المعاملة .

قلت : ولكنني لم اقرر بعد فيما اذا كنت ساشتري هذه القطعة من الارض او غيرها ، فاترك الامر الى الغد .

قال : اخشى ان تباع !

قلت : كل شيء نصيب في هذه الدنيا .

قال : انت ضيفي هذا المساء ، فلنذهب الى بيتي معاً وهناك نتفاهم في جو هادىء ، وساطلعك على التصميمات والخرائط ..

قلت : اشكرك على دعوتك هذه ، فلقد اسدل المساء ستاره الان ، فلنترك الامر الى الغد .

قال : الا تريد ان ترى بيوتاً جاهزة البناء ؟.. فهناك بيت رخيص الثمن يقع وراء البستان الكبير ، فاغتنم الفرصة وابتعه هذه الليلة .. او ادفع سلفة على الاقل .. لا تتردد يا استاذ في امورك ، ولا تترك عملا الى الغد !.

قلت : دعني افكر في الموضوع ، وسنتقابل غداً صباحا ان شاء الله .. وافترقنا .

عدت الى بيتي مخترقاً ازقة محلة « س » ولا ادري ما الذي اشعرني بان شخصاً يتتبع خطاي ، فتوقفت عند بائع سجائر ، فمر بي شاب طويل القامة ، يلبس سروالا وقميصاً من قماش الكاكي ويحتذي خفا من القماش الابيض، ووجهه صغير ونحيف وانفه دقيق ، وعيناه براقتان، وشعر رأسه قصير اجعد وسحنته تختلف في لونها بين الصفرة والازرقاق .. وكان على الجملة اشبه بذئب جائع ، او بضبع فازع ، فوقع من نفسي موقع الشك والريبة

ابتعت علبة السجائر وسرت مائة متر ، وكان الظلام قد بدأ ينشر رداءه على المدينة ، فرأيت الشاب يخرج من زقاق ويتبعني . فغيرت طريقي الى موقف الترام وتطلعت خلفي فرأيته يقف وراء سياج ويسدد نظره الي ، ثم جاء الى الموقف فاقترب مني وهو يعتقد بانني لم الحظه .. وبعد ربع ساعة اقبل الترام بعربتيه ، فلحظت الشاب وقد اخذ موقعاً ينتصف العربتين حتى اذا رآني ركبت احداهما اندفع ورائي . واخذت بدوري موقعاً الى جانبه تماماً ، فلما وقف الترام كان الشاب يرابط عند مصعد العربة الثانية وكنت انا ارابط عند مصعد العربة الاولى .. وانتظر كل منا الثاني ان يشرع بالركوب، فتحرك الترام ونحن لا نزال واقفين ، ثم صعدت الى العربة الاولى ووقفت على السلم بحيث لا امكن احداً من التسلق ، فركب الشاب في العربة الثانية .. ثم سرت الى داخل العربة على عجل وقفزت من بابها الامامي وهي تسير مسرعة، وقطعت الطريق من بين السيارات، واختلطت بالناس وعدت الى بيتي .

لقد طمع الشقي بي ، وكان يعتقد بانني احمل ثروة في جيبي ، ولم يكن ليدري انني لم املك في تلك الساعة سوى ليرة لبنانية واحدة .. كان اللص متنمراً ، يود لو استطاع ان يهاجمني في الطريق ، او في الترام ، وكانت امنيته الوحيدة ان يختلي بي في زقاق ضيق مظلم !

وجاء اليوم التالي .. وذهبت الى ابي ضبة لنتابع الحديث في مسألة البيت والارض ، وكم كانت الصدمة عنيفة عندما رايته يضع رأسه على رأس اللص وهما يتساران في حديث ذي شجون!

نجاتي صدقي

رباعيات جديدة

❖

ان كان ضوء الحق نورك وحده   فجليل جهدك حسرة وهباءُ
كم من عباقرة خبا اصلاحهم   لم يخبُ لولا انهم ضعفاء
فاترك زمانك لا تلمه ، فانما   اخلاقُنا وخلالنا الخرقاء
كف القوي لصفعة وتحية   اما الضعيف فكفه استعطاء

***

فشلتَ ، وهل ينال الفوز مأتى   على اهدافه شبح الضلال
جعلت الظل نورك وهو اعمى   وطرت على جناح من مُحال
وما بذل الجهود بلا نظام   سوى رسم الحروف على رمال
وكيف يدوم قصر شيدته   يد الأوهام في افق الخيال ؟

***

يا حاملين الى الأجانب عطفكم   وبلادكم في قبضة الحدثان
اسعافكم ما فيه انسانية   بل فيه معنى الذل والروغان
هلا بدأتم بالقريب فانه   اولى من الغرباء بالاحسان
من ليس يسعف اهله بنزاهة   هيهات يسعف سائر البلدان

***

تتغير الازياء في اثوابكم   وهيامكم بالشر لا يتغير
في كل نفس للمفاسد باحة   يرتاض فيها ثعلب متنكر
ما دمت تعرف في اللباب عفونة   ماذا يفيدك ان يروق المظهر؟
سيان عندي ان يكون مسدس   في كف من يغتالني او خنجر

عاصمة الارجنتين   الياس قنصل

بواعث تعقد الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر

بقلم عواد مجيد الاعظمي
ليسانسيه شرف بالعلوم الاجتماعية

يعتبر القرن التاسع عشر من أعقد القرون في تأريخ الفكر البشري ... خضما في الافكار ...واختلافا في المذاهب ... وتطرفاً في النزعات والميول.. فمن اوج المثالية.. الى أقصى المادية ... ومن اعمق معاني العقلية .. الى ذروة الخيالية الطبيعية .. ومن اعنف حركات الابداع والتقدمية .. الى أقوى حركات الاتباع والرجعية .. والى منتهى الايمان .. ونهاية الالحاد .. وقد عبر « مرتز » عن هذا التعقد في كتابه « نزعة الفكر الاوربي » بقوله : « لقد انتج القرن التاسع عشر كثيراً من صور الفلسفة ومذاهبها .. غير انك تجد ان تلك المذاهب على الرغم من اختلافها وتباينها من مثالية « فخته » المتطرفة .. الى مادية « بخنر » الالحادية .. لن تجعلنا نشعر بأنها محيطة بعالم الفكر كل الاحاطة »

ولم يكن هذا التعقد الفكري باعثاً على التشوش والارتباك بقدر ما كان باعثاً الى خلق قوى جديدة وايجاد نظرة قويمة للحياة .. وتوجيه الفكر البشري توجيها حافلا بالابداع والعمل.. ومحاولات لاعادة النظر في تنظيم حياة الفرد والمجتمع .. ولا غرو ان نجد هذه الاشارة يعبر عنها « تشارلس ولسن » العالم الطبيعي في خطابه : « اننا نعد القرن التاسع عشر هذا حداً فاصلا بين ماضي العالم وحاضره .. ولا يماثله في ذلك عهد من عهود البشر كافة .. لقد خلقنا في هذا القرن قوى جديدة لم تكن لها وجود من قبل .. واقتضت هذه القوى نظرة جديدة للحياة.. نشأت معها في وقت واحد . » .

ان بواعث تعقد الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر ، وتمتد الى قرون بعيدة يرجع اصلها الى الحضارتين القديمتين ، اليونانية والرومانية ، واللتين تاثرتا تاثراً قوياً بحضارتي وادي النيل ووادي الرافدين عن طريق الحضارات التي نشات على سواحل البحر الابيض المتوسط ، خاصة التجار الفينيقيين،وان اصاب الفكر الاوروبي انتكاس خلال العصور الوسطى .. الا ان هذا الانتكاس لم يلبث ان توارى خلال عصر النهضة ، هذا العصر الذي يعتبر رجعة الى استرشاف الاداب ـ والفلسفات اليونانية والرومانية القديمة ... ولا غرو ان يعتبر عصر النهضة اساسا متيناًومنبعا زاخراً للتيارات الفكرية ـ الادبية والفلسفية ـ التي عصفت في القرن التاسع عشر فخلقت منه عصراً معقداً .. متشعب الاراء...والمذاهب والافكار... وما القرن التاسع عشر في الحقيقة في نهضاته القومية ، وحرياته ، وحوادثه .. الا ثمرة ذلك النهوض الفكري والنشاط الاستعماري ، والاقتصادي الذي وضعت اسسه منذ عهد النهضة .

وقد كان لحركة الاستكشافات الجغرافية اثر عميق في الفكر الاوربي خلال القرن التاسع عشر ، فان اكتشاف طريق للهند ، والوصول الى عالم جديد ، كان له اثر عظيم في حياة الامم الادبية ، فقد ساعدت الاستكشافات الجغرافية على تحوير عقول الاوربيين من كثير من الاوهام والخرافات ، التي كانت تسيطر عليها ، وبعثت في نفوس الافراد ، روح المغامرة ، وارتياد اماكن جديدة .. جميعها كانت نواة لقصص الخيال والابداع الرومانتيكي التي ظهر اوجها خلال القرن التاسع عشر. فاولئك الذين قاموا بالرحلات الحقيقية لم ياتوا لنا بكل ما نحبه اليوم ..

وما اغرب ما لم يزل يرد من ولايات المغرب من روايات ومغامرات بحرية .. وحوادث اسر ، وهروب ، ونجاة وفرقة أحباب ، وملاقاة ، وشهداء .. وعصاة ، وباشوات، وانكشارية، وغادات يذرفن الدموع ، اسيرات في القصور ، واجانب يشفقون على دموعهن – تلك الروايات التي لم يكف الناس عن تكرارها. وتوشيتها ، وكانت تحظى دائماً بالاعجاب ، وخواتم الكوميديات ومغامرات قصص الحب ، ووقائع حقيقية اكثر روائية من الروايات ...

ومما لا شك فيه ان اكتشافات القرن السادس عشر كانت اساساً قوياً لحركة الاكتشافات التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر ... فكان الناس في اواخر القرن الثامن عشر قد عرفوا عقيب اسفار القبطان « كوك » البحرية معظم ما حول القارات وجميع اجزاء الكرة الارضية .. الا ما كان في الاقطار القطبية .. بقي عليهم يومئذ معرفة داخلية كل من قارات افريقيا .. واستراليا .. وآسيا .. وامريكا الجنوبية .. وما حول القطبين ، فاتجهت اكتشافات القرن التاسع عشر صوب تلك المجاهل .. على ان البعوث في هذا القرن لم تكن تجارية صرفاً ، كما كانت في القرن السادس عشر، وانما بعوث للبحث، شرعوا بها لا للانتفاع وانما لغاية تقدم المعارف ، والمكتشفون ان لم يكونوا من موظفي الحكومات فهم من رجال العلم وطلابه ....

وقد ارتبطت بحركة الاستكشافات الجغرافية حركة اسفار محلية بين الكتاب والفلاسفة في اواخر القرن الثامن عشر ، وقد كان لطرق المواصلات الصناعية اثر كبير في ذلك ، وقد ادت هذه الاسفار الى حركة ادبية وفلسفية واقتصادية واسعة النطاق ... فكثيراً ما نجد ان الناس قد بدأوا باسفار طويلة .. قضوها في التامل والدرس .. على ان هذه الاسفار قد عقبها ذيوع الافكار الحديثة .. فوفد الى انجلترا « فولتير » عام ١٧٢٦ حيث نشأت فلسفتا « نيوتن » ، و « لوك » ولم يكن قد وصل الى « فرنسا » علم بهما ... وساح « أدم سمث » من فرنسا عام ١٧٦٥ حيث درس طريقة « كوينس » الاقتصادية ، واكب على مباحث الفيزيوقراطيين واخرج كتابه ثروة الامم ...

وقد كان للثورات الدينية والصناعية والفرنسية .. أثر عميق في تعقد الفكر الاوربي .. وقد ظهرت اوج النتائج الفكرية لهذه الثورات خلال القرن التاسع عشر .. فانتجت منه قرناً خصباً صالحاً لخلق ثمرات فكرية متنوعة متشعبة ... فالحركة البروتستانتيه قد افرغت الدين من كل عقيدة معينة ، وردته الى مجال العاطفة فحسب، واطلقت للنفس العنان تذهب في « الرومانتية » كل مذهب معتزة بحريتها متمردة على كل سلطان او رقيب ...

ولا تقل الثورة الصناعية عن الثورة الدينية .. تاثيراً في الفكر الاوربي .. ويشاهد في هذا العهد الحديدي الجديد يقظة فكرية شديدة ترجع بلا ريب الى البيئة الجديدة التي وجدت والاختلاط العظيم الذي نشأ في المدن الصناعية الاهلة بالسكان ، ولعل اكبر مظاهر هذه النهضة ، وذلك التطور الغريب الذي نشاهده في ميدان السياسة والدين .. والادب والعلم .. والاقتصاد. على ان النهضة العلمية والادبية تكاد تكون ارفع مظاهر هذا العهد .. فالصحافة اصبحت قوة هائلة لارشاد البلاد ، والتمثيل، والكتابة ، وفي كل فن خطت خطوات سريعة للامام .. والعلوم بكامل انواعها تطرد في التقدم والتحسين ...

ولقد خلقت الثورة الصناعية اتجاهات جديدة في الحقل الاجتماعي والسياسي .. والاقتصادي . كان لها اعمق الاثر في توجيه الفكر الاوربي خلال القرن التاسع عشر .. فالطبقة الوسطى « البورجوازية » لعبت دوراً كبيراً في الحياة الادبية .. فلم يكن محض مصادفة ان الانقلاب الصناعي ، ظهر مع ظهور القصة ، وحدث مع حدوث الانتقال من الادب « الكلاسيكي » الى الادب « الرومانسي » .. والقصة والادب الرومانسي عامة هما في جوهرهما نوعان من انواع الفن البورجوازي ... وكما ان

الثورة الفرنسية كانت التعبير السياسي عن ارادة الطبقة المتوسطة في صراعها مع طبقة الاشراف.. كذلك كانت الثورة الرومانسية التعبير الادبي عن روح الطبقة المتوسطة ...

وقد كان للنزعات السياسية المتمخضة عن الثورة الصناعية ، كالنزعات الاشتراكية مثلا .. اثر كبير في الادب ، ويتمثل هذا التاثير عند « جورج ساند » ... فقد فتحت ـ ساند ـ نوافذ نفسها للعالم من حولها .. فبدل ان تبث انينها وشكواها في قصصها، اخذت تتلقى من الدنيا الخارجية الدوافع ،والمؤثرات،والاراء، والافكار ، واختلط في عقلها .. شيء من الشعور الديني بشيء من الحماسة نحو النهوض بالانسانية قاطبة مع ميل الى المذاهب الاشتراكي الذي بدا لها اداة صالحة لما ارادته الانسانية من نهوض، وبهذا الرأي ، وهذا المذهب الاجتماعي اخرجت قصصها ... وغالباً ما يؤثر الاضطراب السياسي في الادب ، كما هو واضح في المانيا ، حيث اضطرب الفكر فيها في الفترة التي تملأ الثلث الاوسط في القرن التاسع عشر ، فاضطربت السياسة، واضطرب الادب ...

ولا يمكن فصل التقدم العلمي بفضل الثورة الصناعية ، عن تأثيره العميق في الفلسفة والادب .. فقد شهد منتصف القرن التاسع عشر توتراً ظاهراً في العلائق بين العلم من ناحية الفلسفة واللاهوت من ناحية اخرى ، وربما كان هذا الاحتكاك راجعاً لدرجة ما الى الآراء المتطرفة لبعض رجال العلم حول امكان تفسير كل شيء بالمادة والقوة ... ولا يغرب عن اذهاننا كيف ان ادخال المبادىء الاولية لعلم الميكانيكا في تضاعيف الادب من طريق « فونتيل » ، و « دالمبير » « وكوندورسيه » والتي حشيت بها كتابات «فولتير» و «ديدرو» قد تضخمت وانتفخت في بعض الرؤوس حتى أخرجت مذهباً في « الفلسفة المادية » يتجلى باعظم مظاهره في كتاب « الانسان الآلة » وكتاب« نظام الطبيعة » .. وقد كانت فرنسا مسكن الروح العلمية خلال العقود الاولى من القرن التاسع عشر .. وفي الشطر الأخير من القرن نرى تلك الروح قد بثت الحياة في ايطاليا والمانيا وانكلترا وشمال اوربا الشرقي ....

وعليه .. فاذا كانت الثورة الصناعية قد ادت الى هذا التقدم العلمي ، ونشوء المذهب السياسي الاشتراكي وتعاظم نفوذ الطبقة الوسطى البورجوازية .. وكانت هذه جميعها بدورها قد خلقت نزعات ادبية وفلسفية تكاد تكون منسجمة مع طبيعة كل منها وجوهرها .. فكانت الفلسفة المادية وليدة التقدم العلمي... والنزعة الانسانية العاطفية وليدة المذهب الاشتراكى، والحركة الرومانسية الأدبية تعبيراً عن رغبة وعواطف الطبقة الوسطى البورجوازية .. واضافة الى ذلك .. اذا كانت الثورة الصناعية معولا هداماً للنظام الاقتصادي الاقطاعي ... فقد كانت الثورة الفرنسية معولا هداماً لنظام الحكم الاستبدادي المطلق...واذا كانت الثورة الصناعية حققت اهدافها بالسلم والآلة ... فالثورة الفرنسية حققت اهدافها بالعقل والدم والحديد .. واذا كانت الثورة الصناعية قد قامت على عاتق المخترعين من مختلف طبقات الأمة ، فالثورة الفرنسية قامت على يد نفر من الفلاسفة والأدباء حاملي لواء العقل ومشعل الحرية ... ولم يدر في خلد هؤلاء ان الثورة ستمحو سيطرة العقل وتحل محله الوجدان والعاطفة ...

فالثورة الفرنسية فتكت بانصار الاستبداد الذين اريد بها ان تفتك بهم ، ولكنها احرقت مع هؤلاء بناتها ... فقد بناها وسواها نفر من الفلاسفة ، لأن العقل كان رائدهم فيما يكتبون ولم يدروا انها ستمحو كذلك سيطرة العقل لتحل محله على العرش حاكما آخر .. هو الوجدان .. وفي سيطرة الوجدان

اساس الأدب الابتداعي .. واذا ما كان للعواطف والأفكار الأثر العميق في الأدب والفلسفة ، فالثورة الفرنسية قد اثارت هذه العواطف والأفكار .. وما الثورة الفرنسية الا محاولة جريئة لاعادة بناء المجتمع على مبادىء كلية ومعان مجردة ... فسرعان ما هاجت الأفكار والعواطف في أرجاء القارة الاوربية حتى اعتاد الكتبة ان يحسبوا عام ١٧٨٩ بدء التمدن الحديث.. فالثورة الفرنسية احدثت من التغيير الكبير في الشؤون والعادات ما كان فارقاً لهذا التمدن ومميزاً له عن سواه ...

اذا كان الأدباء والفلاسفة قد خلقوا فكرة الثورة، ووضعوا عود الثقاب لها ... فالثورة نفسها قد خلقت تيارات أدبية وفلسفية لم تكن على بال .. وقد بلغت اوجها خلال القرن التاسع عشر ... وقد ناصر هذه النزعات الأدبية وساعد على تقدمها ابن الثورة ، وقائدها .. « نابليون بونابرت » وكان نابليون يتوق لجعل ايام سلطته مشهورة بالأعمال الكبرى في العلم والصناعة كاشتهاره بالفتوحات والمشاريع الكبرى .. فشرع يستنهض همم العلماء والكتبة والصناع بمكافاتهم بالمال وباعلاء اقدارهم ... الا ان اعمال نابليون كانت اظهر اثراً في الآداب — ووضعت المكافاة الرسمية ، والقصد منها الابقاء على رجال الأدب كما كانوا في القرن الـ ١٨ سيما وإن شانهم كاد ينحط لميل الناس عن طلب الآداب ...

على ان الحركات الفكرية .. والأدبية والفلسفية التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر ، كانت وثيقة الصلة والارتباط بالنزعات الفلسفية والأدبية التي ظهرت في اوربا قبل هذا القرن ... فلم تكن المذاهب الفلسفية التي ظهرت في القرن التاسع عشر والتي نادى بها شوبهور ، وسبنسر ، ونيتشه ، الا موجات سطحية يتدفق تحتها تيار قوي مكين ، هو تيار « الفلسفة الكانتية » .. وقد ظهرت حركة فلسفية في ألمانيا — كانت الغاية منها العودة من جديد الى دراسة الفلسفة النقدية التجريدية التي كان « كنت » اول واضع لها ... وابتدأت هذه الحركة بالصيحة المشهورة « ارجعوا الى كنت » .. « والنزعة الرومانتية » التي بلغت الأوج خلال القرن التاسع عشر كانت قد استقت أصولها ، وقواعدها من الفيلسوف والأديب الفرنسي « جان جاك روسو » عميد النزعة الرومانتية خلال القرن الثامن عشر ...

وأخيراً يجب ان لا يفوت عن بالنا ، ذكر التاثير الشرقي في قصصه ، وخيالاته على الادب الاوربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هذا التاثير الذي نراه واضحاً وبارزاً في قصص الادباء الاوربيين وكتاباتهم ، في مختلف النزعات الادبية والفلسفية ولا غرو ان لهذا التاثير الشرقي اعمق الاثر في تعقد الفكر الاوربي خلال القرن التاسع عشر فقد كانت تصل من الشرق اروع الحكايات ذلك أننا نعلم ان الشرقيين يفوقون كل الشعوب الاخرى من ناحية الاعاجيب. فقد نشر «أنطون جالاند» من عام ١٧٠٤–١٧١١ ترجمته « لالف ليلة وليلة » ... وهذا هو «جيته» يدير البصر الى هذا الشرق البعيد ليخلص من الواقع الذميم الى هذا الشرق كما يراه مصوراً في ألف ليلة وليلة وما اليها من مفاتن الخيال .. وقد نجد الابتداعي الذي يريد ان يجعل ماضيه أبعد من هذا وذاك وقد لا يكون البعد في المسافة الزمنية، بل في المدى الذى ينبغي للخيال أن يعبره، في الشرق الذي يرتسم في اذهان الغربيين احياناً ، وكأنه بلاد السحر والعجائب ...

هذا هو استعراض تاريخي — لأهم البواعث — الفكرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والدينية ، والتاثيرات الشرقية — التي خلقت جميعها قرناً متميزاً فجعلته بحق: «حداً فاصلاً بين ماضي العالم وحاضره» قرناً معقداً.. متشعباً، دفاقاً بالنزعات والميول .. والمذاهب ، فكانت الكيان الأساسي ، والقاعدة الرئيسية لبناء قرننا الحاضر القرن العشرين ...

بغداد — عواد مجيد الاعظمي

مصادر البحث :

جون تيودور مرتز — نهضة فرنسا العلمية في القرن التاسع عشر
ازمة الضمير الاوربي — بول هازار .
شارل سنبوز — تاريخ التمدن الحديث .
تيودور مرتز — نزعة الفكر الاوربي في القرن الـ ١٩
يوسف كرم — تاريخ الفلسفة الحديثة .
محمد قاسم — تاريخ القرن التاسع عشر.
شلي — برومثيوس طليقا — ترجمة لويس عوض .
احمد أمين — قصة الأدب في العالم .
وولف — عرض تاريخي للفلسفة والعلم، ترجمة محمد عبد الواحد
وولف — فلسفة المحدثين والمعاصرين .
An Essay on Western Civilization by : W.Cunningham
Modern Philosphy. By Q. Ruggiero
History of Civilization. Vo. II By : J. H. Robinson. J. H. Breasted·

اوراق صفراء!

الى يوسف الشاروني... ورقتنا الخضراء في مصر

منذ أحس بالقوى تصطرع من حوله ، فتح عينيه وقلبه وعقله وصدره ، وأقبل على الحياة ينهل من نورها العذب ...

... ودخل المعركة الكبرى مغامراً باسماً ... يتطلع الى أعلى ، ويسير الى الأمام ، ويفجر من حوله الأحداث...

وكان مؤمناً بنفسه وبأبناء جيله ، وبأساتذته الذين يتلقى عنهم ما يدفعه للسير والفعل.. وكان مبعث ايمانه هذا، هو ظنه بأن رفاقه وأساتذته إنما هم ، مثله، يحسون بالشعاع ينطلق من أعماقهم فيعمل لبناء امة ، وبعث تاريخ . !

لهذا كان للتاريخ شأن عظيم في سيره فقد كان يعمل ليتخطى حياته الى حياة اخرى تفعل فعله من بعده ... ذلك أن التاريخ عنده هو قاض مهيب جليل ، يشرف على الحياة من عل حاملا بيده مطرقة يطفىء بها شعاع كل من استحق منه حكماً قاسياً ...

منذ أحس بالقوى تصطرع من حوله... ومنذ جرفه تيارها كي يختاو لنفسه ميداناً من ميادين الصراع ... تطلع فرأى شجرة خضراء تتعالى بقوة وعزة نحو السماء ، وتظلل بأغصانها المورقة ، كل من آمن بقوة انتاجها ...

وسار نحو الشجرة مسحوراً بجمالها وعطرها وأنغامها الصافية العذبة ... ثم انضم الى هؤلاء الذين يتحلقون تحتها متمتعين بفيء ظلالها وطيب هوائها وروعة ثمارها ...

وهناك ... تحت الشجرة... عرف قوة فعل التاريخ من خلال تعرفه على ارواح خالقي التاريخ ...

وكان لثمار منتجي الفكر ومبدعي الفن ومسيري الانسانية ، فعل قوي في نفسه ... وعقله مما جعله يطمح الى ان يتسلق الشجرة فيصبح ورقة صغيرة من اوراقها الخضراء ...

... ومضت أعوام وهو تحت الشجرة يقرأ بنهم هائل ، حتى توصل ذات يوم الى الجذع فتسلقه بجهد... ثم أفاق فرأى نفسه يربض على غصن طري رفيع ، وطيل برأسه الدقيق الأخضر على الناس ، مفكراً بذلك اليوم الذي يستطيع فيه ان يهبهم من ثماره ، كي يفجر من حولهم الحياة الفاعلة ، في سيرهم نحو مثل عليا ...

ومن مكانه ذاك ، أخذ يراقب حياة «الأوراق الكبيرة» وقد أخذت مكانها في أعلى الشجرة ، ثم يتأمل فعل ثمارها بين رفاقه الصغار ...

ومع الأيام، تقلص من حوله حجاب الغربة، فألف رفاقه وألفوه... ثم اخذوا يستمعون معاً، و يتفهم الى همس «الأوراق الكبيرة » .. فاذا هناك نفوس عجيبة غريبة وضيعة صدمته صدمة عنيفة وجعلته يتساءل حائراً : ـ حتى هنا؟..!

ومضت أيام كان يحمل له بها النسيم اخباراً جديدة ...

هذا بينما الناس تحت الشجرة مخدوعين يتلقفون الثمار بشهية دون أن يعرفوا ما بأعماقها ..!

وظل يوم أفاق فيه مرة اخرى ، فعرف أن ريحاً حارة كريهة تهب على الدنيا منذ أجيال وأجيال ، وتأخذ معها منذ عصور متطاولة من التاريخ ، أوراقاً غرها في الريح شيء خفي زائل ، فذوت واصفرت ... ثم طارت نحو العدم ...

ومن على غصنه الطري الضعيف ، تطلع بنظرته الجديدة الواعية الى الأوراق التي نبتت من شجرة لبنان ، فاذا كل شيء بها قد تغير ، فقد اصفرت اكثر الأوراق ثم تساقط بعضها الى الأرض يتمرغ بالوحل ... وطار بعضها مع الريح فغاب في وادي النسيان ...

الا أن عدة أوراق قوية خضراء ، بقيت تصارع الزمن والريح ، ثم تطرد من عالمها المنير كل ورقة يلوح عليها لون أصفر

قال الراوي : وقد تأكد صاحبنا من هذه الحقيقة بعد أن قدم الى بيروت وأخذ يرى بوضوح الأوراق الصفراء وقد حلت محل الرؤوس فأصبحت مستعدة للسجود في كل ساعة ، تاركة خلفها ـ الضمير ـ خميرة الابداع الفكري ...

..وصمت الراوي ، ثم تابع بهدوء :

ولكن الذي يبعث الأمل في نفس صاحبنا ، هو هذا الجيل الجديد من الشباب ، الذي أخذ يصعد بأوراقه الخضراء نحو الأغصان العليا من الشجرة ، مزوداً بشيء واحد يفجر من اعماقه القوة... هو الخوف من حكم التاريخ الذي يعمل هذا الجيل لبعثه ..

... وصمت الراوي هذه المرة ... مفسحاً الطريق للزمن كي يتكلم ...

محمد ابراهيم دكروب

على ذمة الورد

مهداة الى الاستاذ رشاد بيبي

على ذمة الورد اشرب وغن — وبادله نجواه لحناً بلحن
فهذي طيور الربى حولنا — تزف الينا نشيد التمني
فان انكر الورد خمر الصبا — سل الفجر ينبيك عنه وعني..

***

سموت اليك وبي نشوة — تعطر بالوحي قلبي وجفني
وفي خاطري جنة من ورود — تعاتب وحي بهمس اغن
فمن علم الطير لحن الهوى — وأوحى الى الورد لحن التجني؟

***

على ذمة الورد اشرب وغن — فكم سكر الورد منك ومني
ولا تكتم الليل سر المنى — ففي مهجة الليل كأسي ودني..
بعينيك يمرح فجر الهوى — فدعني ، اهيم بعينيك ، دعني
واحيا على بسمات الجمال — اغني لنفسي وأعبد فني...

مصطفى محمود

من أسرة الجبل الملهم



بداية ونهاية

لنجيب محفوظ – ٣٢٣ صفحة – منشورات لجنة النشر للجامعيين
ملتزم الطبع والنشر مطبعة مصر

يؤثر بعض المؤلفين ان يسموا آثارهم تسمية البداية والنهاية كما فعل ابن الاثير حين سمى كتابه التاريخي الكبير الذي أرخ فيه حوادث المسلمين حتى عهده «بالبداية والنهاية» وكذلك فعل بعض السينمائيين المعاصرين فكان الشريط السينمائي «بداية ونهاية» موضوع الحرب الذرية. اما الكتاب الذي بين يدي اليوم فهو قصة «بداية ونهاية» للاستاذ القصصي نجيب محفوظ، وهو قاص خير لا يكاد ينتهي من كتاب فيدفعه الى الطبع والنشر حتى يشتغل بآخر، وآخر ما صدر عنه روايته هذه.

والاستاذ نجيب محفوظ نسيج وحده في القصة لم ينسحب على اذيال غيره وخير ما يميز فنه القصصي عنصر المفاجأة فما ابرعه في مساق الطرائف بقصصه، وهل كان شيء يملك على إعجاب القارىء اكثر من المفاجأة؟ وحقاً اقول إن هذا الفن في الاغراء أمر عجيب في قصص الاستاذ نجيب. ولست، مع هذا التقدير له، من دعاة هذا الضرب الذي يقصد اليه القصاصون قصداً ليخلعوا على آثارهم بوادر الطرافة والملاحة. وإني ارى هذا الاغراء، وان كان سبيلا الى اعطاء القصة حياة جديدة – هو إرضاء للقارىء وكسب له اكثر من ارضاء للفن وابتغاء لغايته. فانا أحب السماحة في الفن وأرى المفاجأة – وان كانت تدهش القارىء وتظهر اقتدار القاص في هذا السبيل – داعية لهزة نفسية. فنحن نقود قراءنا في طريق سهل دميث فلا ينبغي لنا ان نعصب أعينهم لنفتحها لهم على حين غرة في درب جديد.

ومن فن الاستاذ نجيب محفوظ في قصصه انه طويل الانفاس يمسك بالسيرة ويرمي عين قارئه على عالم كامل، كما فعل في قصته هذه الاخيرة – وما من مذهبي تلخيصها – فهو يفصل القول ويسهب في الوصف ويأتي على الدقائق في الافعال والحركات، فكأنك إذ تقرأ له ترى شريطاً سينمائياً. ومن هذا النحو صلحت قصصه للاخراج السينمائي. ولست كذلك من دعاة هذه الطريقة الايضاحية. لقد كان بعض الكتاب المتاخرين في فرانسة يعيبون فكتور هوجو حين وقع في الاستقصاء القصصي. فالقارىء لا يطالبنا بدقائق الاشياء وليس يطيق ان يدخل معنا في الزوايا. فنحن لا نكتب لانفسنا وإنما نكتب من اجل غيرنا. ودليل هذا اننا نسعى للنشر والطبع وندل الناس على كتبنا وآثارنا بمقدار ذيوعها. لقد قال العرب قديماً «الاستقصاء فرقة» ومعنى ذلك ان الالحاح في الشيء، والتتبع له أمر غير مستحب. واراه لا يجمل بالقصة. فيكفي ان أصف ثوب امرأة اراه فاقول إنها رمادية الثوب ولا اقول كأن ثوبها صبغ بزرقة السماء او زرقة الماء. واكتفي في ان قول: اقبل علينا فسلم وجلس. ولا اقول: كان يسعى نحونا متمهلا حيناً وحيناً مسرعاً يخطو برفق كانه يخشى على الارض ان تذوب تحت قدميه، ثم ادار فينا عينيه واحداً واحداً ورفع طرف ثوبه ثم جلس متكئاً بيده اليمنى بارزاً برجله اليسرى.

ولعلي اجيز هذا الفن ان جاء منسكباً في اسلوب رائع محكم في بعض النصوص الادبية التي تصنع للمحاكاة. اما القصص التي لا يقصد كاتبوها علو الاسلوب وليس الاسلوب عندهم غاية وإنما هو واسطة فاني لا اجيز لهم هذا الامعان في الاسهاب.

وثالثة في فن الاستاذ نجيب محفوظ انه اوتي التسلط على الطرافة فليس فنه بالياً. فهو يتناول قصصه من صميم الحياة. وفهمه عجيب لروح الطبقات، وخاصة الطبقة الدنيا ومن هنا اجده شعبي الفن يحس بالم الناس فيصور هذا الالم في قصصه ويشعر بفرحة الناس فيرسم هذه الفرحة – إن جاز لي ان اجعل الفرحة والالم مما يمكن رسمه وتصويره –

كل ذلك يستطيع ان يشاركني الحكم فيه من قرأ قصص هذا الفني الموهوب وقد عرفته قبلا وعرفته بعدئذ وعاينته عيان العين والتحدث فوجدته جديراً بان يكتب قصص الناس وحين عدت الى القاهرة منذ شهور لقيته امام حديقة الازبكية فكنت له مفاجأة في امسية من اماسي القاهرة وبدا لي اشب مما تركته فقلت له اعيذك ان تكون مثل «دوريان غراي» الذي وصفه اوسكار وايلد من انه ظل شاباً وما عرف الكهولة ولا الهرم. فراح يضحك

ويمرح في نعمى الشباب .

كذلك ادفع الى قراء الاديب قولة في فن الاستاذ نجيب محفوظ من اجل قصته الجديدة « بداية ونهاية » مؤمناً ان ادبه القصصي حدث نضير، يستحق كل تكرمة وتقدير .

القاهرة **زكي المحاسني**

ظهر حديثاً :

• طبيبك معك – للدكتور صبري القباني – ١٦٥ صفحة – مكتبة محمد حسين النوري – مطبعة دمشق

هذا كتاب جليل الفائدة تجدر مطالعته ويجدر الاحتفاظ به والرجوع اليه. وهو مجموعة مقالات واحاديث طبية ونصائح وارشادات نشر المؤلف بعضها واذاع البعض الآخر وقد جمعها في هذا الكتاب تلبية للقراء والمستمعين وجعل ثمن النسخة ليرة سورية واحدة ليسهل على الجميع الحصول عليها .

واسلوب الكاتب سهل وطريقة السرد مشوقة والتبسيط العلمي موفق ، اردت تصفح الكتاب فرأيتني اطالعه بشغف لم اتركه حتى اتممت مطالعته وفي نفسي رغبة في الرجوع اليه .

• الوان – مجموعة شعرية لسلام فاخوري – ٨٨ صفحة – قطع صغير ورق صقيل – مطابع دار الطباعة والنشر اللبنانية – بيروت

« من فتون الشباب
من لياليه واقداحه
من آلامه وافراحه
جمت الحاني ...
فلعيون الشباب !
للقلوب الهائمة بالصبا والجمال
للنفوس الطافحة بالحب والخيال

اقدم « الواني »

بهذا قدم الشاعر باكورته الشعرية الى القراء . وهي تضم ٣٢ قصيدة من الشعر الغزلي ، والعاطفي والوجداني .

• من نافذة العقل – للدكتور نقولا فياض – الجزء ١٠١ من سلسلة «اقرأ» لدار المعارف بمصر

اسلوب الكاتب غني عن التعريف ، وهو يبحث العلم بطريقة ادبية تجعله ماتعاً مشوقاً، ويجمع هذا الجزء الموضوعات التالية: احلام الهستريا ، التنويم المغناطيسي ، الطب والقضاء، الطب وعلم النفس ، الطب والادب ، الطب والشعر ، التسمم بالحب ، شيطان الظهيرة ، الداء وحامل الداء ، الاحداث النفسانية ، التعب ، الكسل ، الارق ، مصل الحقيقة .

• دنيا واديان – للدكتور نقولا فياض – ١٠٨ صفحات – منشورات دار العلم للملايين بيروت

وهذا كتاب آخر للدكتور فياض يجمع الموضوعات التالية : بوذا : دين الخلاص ، كونفوشيوس : دين الاصلاح ، ابيقور : دين اللذة، تيمور الاعرج : دين البطش، روسكين: دين الجمال، نيتشه : دين القوة ، تولستوي : دين الرحمة، غوته ، رنان ، هربرت سبنسر ، الارض المجهولة ، جزيرة الابالسة ، الحماقة البشرية ، العنصرية الروحية ، يوليوس قيصر وشكسبير.

• المهزلة العربية – شعر – لمحمود الحوت – ٢٦ صفحة – منشورات البصري – مطبعة المعارف بغداد

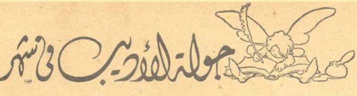
المهزلة العربية اناشيد عربي من فلسطين ضل في الآفاق... اهداها الشاعر : « الى القائد الذي سيسترد اول شبر الى الكتيبة التي ستغرس اول بند في تربة الفردوس المغتصب
الى كل من سيلبي النفير العام
الى الشعب العربي الاكبر .»

هذه صرخة ارسلها الاستاذ محمود الحوت مؤرخاً بها مهزلة فلسطين، لن احاول هنا الاستشهاد ببعض المقاطع خوف تشويهها انما ارجو ان يتمكن القراء من الاطلاع على اناشيد «المهزلة العربية» حتى لا تموت فلسطين في ضمائرهم كما ماتت في ضمير الزعماء .

• ظلام السجن : مذكرات ومفكرات سجين هارب، تنكر واختفى لمحمد علي الطاهر – ٨٩٤ صفحة – قطع كبير – منشورات دار احياء الكتب العربية بمصر

هذا سفر تاريخي جليل للمجاهد العربي المعروف الاستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى،وهو كسائر كتب الاستاذ سجل حوادث وشؤون ان تناولت حياة المؤلف فهي تتناول حتما القضية العربية في شتى اقطارها وامصارها ومختلف ادوارها ومراحلها فحياة المجاهد محمد علي الطاهر قطعة من صميم القضية العربية .

وقد عرف المؤلف باخلاصه وصراحته فهو حين يؤرخ يعطي لكل ذي حق حقه ، فتبيض وجوه وتسود وجوه وتزول الغشاوة المعمية عن اعين الكثيرين من الذين لم يعرفوا عن قضايا بلادهم غير ما تحمله اليهم الصحف فتظل حقيقة الاشخاص اعني حقيقة الزعماء، وحقيقة الحوادث التي دارت وكيف دارت مجهولة لو لم يقيض لها كاتب جريء حر صادق مجاهد لا يأبه لغير



الرقي الاجتماعي في هولندا

بقلم نعيم قطان

تمهيد السائح الاجنبي الدهشة حينما يزور هولندا لاول مرة ويأخذه العجب لنظافة الهولنديين . فالبيوت نظيفة والشوارع نظيفة وملابس الفلاحين نظيفة حتى ان الميزة الوطنية التي يعرف بها الاجانب هولندا تكاد تكون النظافة .

وقد يعجب السائح نفسه بحسن ادارة الهولنديين شؤون بلادهم ، بحبهم للنظام وقد يسأم احياناً حين يرى في احدى القرى الهولندية النظام المتبع في هندسة البيوت حتى انه يميل الى القول ان الشوارع والبيوت هي نفسها انما حل .

ان الطابع المميز للحياة الاجتماعية الهولندية هو كثافة السكان . فهولندا ذات ارفع معدل في العالم في كثافة سكانها . ومن هنا نشأت مشكلة المساكن فيها فالدار الواحدة تتقاسمها عائلتان او اكثر .

اما دور السكنى نفسها فهي حائزة على مختلف وسائل الراحة والمستلزمات الصحية فيها مكفولة . وهي حديثة العهد نسبياً اذ ان اكثر من نصفها لم يمض على بنائه ثلاثون عاماً . ولعل بيوت العمال في روتردام وفي امستردام التي بنيت قبيل الحرب مثال لما يتمناه العامل في مختلف بقاع الارض . ومن الملاحظ ان البيوت القذرة والشوارع الضيقة التي تسكنها الطبقات الفقيرة في المدن الاوربية الكثيرة كلندن وباريس تكاد تكون معدومة في هولندا ، مع ان كثافة السكان كان يمكن ان تؤدي الى كثرتها . وهذا يؤدي بنا رأساً الى التحدث عن النظافة . فالنظافة لدى الهولندي ليست مظهر تفاخر وتباه امام الزائر الاجنبي وليست سلعة تباع للسواح . انها ضرورة اجتماعية بكل معنى الكلمة . ففي بلاد قلما تعثر فيها على زاوية غير مسكونة يسهل تفشي الامراض واذا تفشت يصعب اقتلاعها والقضاء عليها . اما في هولندا فان مستوى الصحة يفوق مستواها في اغلب بلاد العالم الاخرى . فمعدل الوفيات مثلا هو ٤ بكل الف شخص وهذا أخفض معدل للوفيات في اوربا ومستوى وفيات الاطفال ٢٨ ثمانية وعشرون بكل الف ولادة وهذه ايضاً نسبة شديدة الانخفاض . وفي هولندا منشآت صحية حديثة فمستشفياتها من خير مستشفيات اوربا واطباؤها ذوو شهرة عالمية .

وهولندا التي كانت بلاداً زراعية وتجارية في الاصل قد ادى بها عامل كثافة السكان ان تصبح بلاداً صناعية لذلك فالهجرة الى اميركا واستراليا واندونوسيا لا تحل المشكلة اذ ان هناك عدداً يزداد على مر السنين من الافراد الذين يجب ان يقاوموا البطالة . والحل الوحيد هو خلق صناعة قوية وهذا ما فعلت هولندا التي لديها الآن صناعة تضاهي صناعات البلدان الاوربية المجاورة ، ووجود طبقة عمال قوية يخلق كذلك مشاكل اجتماعية تلك المشاكل التي تكاد هولندا تتوصل الى حلها وخير دليل على ذلك هو ندورة الاضرابات في هذه البلاد . وحزب العمال هنا هو الثاني في الاهمية وله اربعة وزراء في الحكومة الحالية . وقد قيض لي الحظ مقابلة رئيس هذا الحزب السيد كوس فورنك الذي ادلى الي بتصريح اود ان اقتطف منه بعض العبارات : قال لي فورنك : « اني فخور بما انجزت بلادنا خلال الاعوام الاخيرة وان حزب العمال الهولندي قد شارك في هذا المجهود الى مدى بعيد . فهولندا هي البلاد الوحيدة في العالم التي ارتفع مستوى حياة عمال القرى فيها من عشرين الى ثلاثين بالمائة عن مستوى قبل الحرب اما مستوى حياة عمال المدن فقد اصابه ارتفاع محسوس كذلك . »

ويجدر بنا ان نذكر في هذه المناسبة ان هولندا قد استفادت من مستعمراتها وان ثروتها الوطنية قد كونت قسطاً كبيراً منها موارد المستعمرات . وان فقدانها هذه المستعمرات الآن قد يؤدي الى فقر البلاد الا اذا طبقت وحققت مشاريع تصنيعها بصورة واسعة .

ونحن لا يمكننا ان نفهم حقيقة التطور المادي والرضى الاجتماعي في هولندا اذا فصلناها عن الحياة الدينية والروحية فيها ففي هولندا ثلاث شيع مهمة الكاثوليك ، البروتستانت والاشتراكيون بغض النظر عن اولئك الذين لا ينتمون الى اي مذهب او ضرب وهم كثيرون . وتكاد تكون هذه الشيع ممثلة في كل حقل من حقول الحياة الاجتماعية والسياسية . فالاحزاب

المهمة هي الحزب الكاثوليكي وحزبان بروتستنتيان وحزب العمال . والصحافة بغالبيتها تتبع نفس الشيع حتى الراديو فهو يذيع اربعة مناهج مختلفة كاثوليكي ، بروتستانتي ، اشتراكي ومنهج عديم الاتجاه السياسي او الديني . وحزب العمال نفسه لا يتجاهل اهمية الحياة الدينية في هولندا ولا يتركها جانباً بل انا نجد فيه شعباً كاثوليكية وبروتستانتية لكل منها صحيفتها الاسبوعية ولكل منها نشاطها الخاص ضمن نطاق الحزب

قد سمعت اكثر من مرة كاثوليكياً يهاجم البروتستانت وبرتستانياً يظهر اختلافه مع الكاثوليك . الا أني لاحظت ان هذه الاختلافات في المعتقد تبقى فكرية وروحية ولا تتدخل في الحياة المادية اليومية . وهي دائماً مصحوبة باحترام الواحد لمعتقد الآخر مع اختلافه معه. والحرية واسعة في هذا المضمار والصحف مثلا لها ابوابها الخاصة لمناقشة المسائل الدينية والروحية. بالاضافة الى ان الفرق بين عدد الكاثوليك والبروتستانت ليس كبيراً وان حزب العمال بمثابة قوة ثالثة . فالقوى تكاد تكون متعادلة وليس هناك اكثرية واقلية . والاديان هنا تربي لدى الافراد حب العدالة وحب الانسانية .

ان اعجاب الزائر الاجنبي بحب النظام في هولندا قد لا يعجب الهولندي نفسه . فالهولندي لا يريد ان يشبه بالالماني الذي يجمع الناس على حبه للقوة وسيره وراء القواد والزعماء . ان النظام لدى الهولندي هو اتفاق اجتماعي بين كافة المواطنين الذين يرضون به بملء حريتهم وباختيارهم . فالهولندي استقلالي لطبيعته ولا يوافق على اوامر عليا الا اذا اقتنع بانها تماشى مع فكرة العدالة الاجتماعية والانسانية . وأنها لا تتعارض مع الصالح العام ومع حرية الفرد .

وهذا كله يفسر لنا الى حد بعيد الدفاع البطولي اليائس الذي قابل به الهولنديون الالمان في الحرب الماضية والفصول الجيدة التي اضافوها الى سجل تاريخهم في المقاومة السرية ضد المحتل الاجنبي . فان شعورهم كان قويا بحب الوطن والوطن لديهم لم يكن كلمة فارغة المعنى بل كانت حياة مرفهة ورقياً ماديا يكفل السعادة الاجتماعية تلك السعادة التي كان يعز عليهم فقدانها .

باريس

نعيم قطان

حديث المقتطف

ميداله

الشرف هذا الموسم تحتله «معركة الصحافة» والصحافة في الأمة موطن الحساسية ، وانسان عينها اليقظى ، لا تطرفها قذاة إلا جعلت الكيان العام ينتفض في مهب الأخطار ، ويرزح تحت رحمة المخاوف .

ومنذ كانت مقاليد الشعوب الى صحافتها الحرة ، بات كل طائف عدوان يمسها ، او طائف سهم يصيبها - انما هو الى قلب القيادة من هذا الركب قد سدد ، وعلى كرامة الشعوب وحقها في حرية الحياة قد وقع العدوان .

وما من شعب رضي لصحافته الحرة ان تستذل ، او لقيادتها الموجهة ان تستغل - الا خط بيده سطور هوانه على نفسه وعلى شعوب العالم الحرة ابد الدهر .

لكن الكاشحين من الحكام ، والمعوقين من الافراد الذين لا يؤمنون بمكانة الصحافة الحرة في بناء الكيان الشعبي ، ما زالوا يصيحون صيحات التهديد - في كبر وعناد - كلما مست منهم الصحافة اعوجاجاً تبغي تقويمه ببنان الرفق او عصا المؤدب .

ومحنة الصحافة الحرة ليست وليدة هذا الزمان ؛ اذ هي مأساة الرأي الحر المضطهد منذ قامت بازائه فكرة الرجعية الجامدة ، الجاحدة ، المدافعة عن كيانها البالي بالوثوب على معاقل الحرية .

وما الغاء بعض الصحف في مصر الا صدى لهذا الطغيان الذي نتسمع في رنينه ضجيج العدوان المنكر . ولا كانت الحبال المفتولة لخنق الصحافة في مصر الدستورية ، إلا رجعية تترنح وهي تلفظ آخر انفاسها . ولكن عزاء ؛ فليس ما تلقاه الصحافة من كيد في مصر بدعاً اذا قيس الى بعض الدول القريبة ، ولكنه بهتان عظيم اذا انتسب الى ما تلقاه من اجلال وتوقير في الامم الحرة الحريصة على حريتها .

ومهما يكن فقد خرجت الصحافة من محنتها ظافرة تملي شروطها ، وكانت الضحية في هذه الجولة ذلك الفأر الذي اجترأ فحاول ان يضع الجرس في رقبة القط المتوثب .

ومحنة الصحافة عامة والأدبية بوجه خاص - لا تاتيها من طغيان الحكومات فحسب ، ولكن من طغيان الحوادث كذلك ؛ فما زالت ازمات الورق وغلاء مواد الطباعة تضيق عليها الخناق ، وتعوقها عن المضي في اداء رسالتها العلمية والأدبية ، وتقص من اجنحتها كل يوم ما يقعدها عن التحليق .

ومن شان هذا ان ينال من حماس الأدباء والكتاب والمفكرين، فيصرفهم عن الأدب والفكر الى حيث يجدون التشجيع ، او يقعون على الثروة ، ويغريهم بالنزول الى ميدان الشهرة الواسعة والمال الوفر والعمل المغل .. الى ادب الدعاية والتهريج .

وإلا فلماذا تختفي صحف كان لها في عالم الادب والفن والفكر صوت مسموع ، ليخلفها هذا السيل الجارف من الادب الشهواني الذي يتملق الغرائز الدنيا في الشعب، ويستهوي العواطف البدائية في الجماهير ؟ ولماذا تعيش البقية -التي استطاعت مقاومة الاعاصير- نحيلة هزيلة تخجل من كمها وكيفها ، ينصرف عنها رعاتها ودعاتها واحداً في اثر الآخر ، حتى يبقى اشجع جنودها يكافح الفقر ويناضل الجوع والافلاس ؟ وما ماساة مجلة « الاديب » البيروتية التي ارغم راعيها صديقنا الكريم وزميلنا العزيز الأستاذ البير أديب ان يبيع كتبه ومقتنياته في سبيل استمرارها ودعم اركانها - ما ذلك الخطب عن القراء في العالم يبعيد . إنها ماساة ان تحدث ، وماساة ان تكون من بنات القرن العشرين !!

ولا مأساة صحيفتنا التي هزلت وهزلت حتى كادت دفتاها تلتقيان - بخافية على قرائنا الكرام ، ولا نحن ملومون اذا اعتذرنا لهم من هذا الهزال بعد ان احتملنا ما نطيق وما لا نطيق في سبيل اصدارها بالحجم اللائق بمكانتها وماضيها التليد ، فقد تكبدنا من الخسائر الجم الكثير متصبرين متطلعين الى عناية العلي القدير . راجين ان تنفرج الازمة ، وتنقشع سحائب الدخان المنعقد في افق العالم . ضحينا في هذا السبيل متعللين بالأمل حتى صفرت ذات اليد ، ولم يعد لنا ما نضحي به فرضخنا لسياسة الأمر الواقع وان كان مراً واليما ، ولم يعد في طوقنا ان يتوالى هذا النزيف من دماء المقتطف فامسكناها على هذا الرمق وجعلناها في ٦٤ صفحة حتى يتاذن الرب بسلام شامل .

ولا تسل عن مآسي الصحف الأدبية التي اصابها ما اصابنا في مختلف البلاد العربية ، على ما تنعم به صحف الدعاية والتهريج والتفاهات ، من عدة وعتاد ، ومؤونة وزاد ، تمكن لها من مقاتل الفضيلة ، وتخولها العدوان على معاقل الاخلاق .

فمن الملوم يا قوم ؟ ادباؤنا الذين تفرقت بهم السبل وغررت بهم الاباطيل ، فانصرفوا عن الباقيات الصالحات الى بهرج لا يبقى على الحياة ، ولا يخلد على الاجيال ؟ ام القراء الذين استمرءوا اللهو الفارغ ، وانساقوا في تيار الادب الحالم، وتمادوا في جو من الخدر والفتور ؟

أم الهيئات الثقافية في اقطار العروبة - رسمية وغير رسمية - تدع الادب العربي - وهو الصلة الباقية من وشائج العروبة - يذوي ويضمحل وينتحر على مذبح الاهمال والجحود والنكران ؟

وبعد - يا قراءنا الفضلاء - لقد ودعناكم في العدد الماضي لتخلوا الى انفسكم ، وتستمتعوا بمصايفكم ، ولنخلو نحن الى انفسنا فنجهز لكم هدية المقتطف الدسمة الشهية لتكون تعويضاً عادلا عن شهري يوليو وأغسطس من سنة ١٩٥١ .

و « حواس المدنية » - هديتنا اليكم - كتاب علمي ادبي قيم ، ومؤلفه الاستاذ « اميل توفيق » أديب عالم شاب ، بذل في تدبيجه جهوداً يغبط عليها ، فجاء عملا رائعاً يجمع بين فورة الشباب واتزان العلماء ، ولقد تحدث فيه عن الجمال والفن والتربية حديثاً جمع بين طرافة الأدب وحقائق العلم .

بقي من حق ادارة المقتطف علي ان اتوسط لدى القراء والمشتركين الافاضل ، وهم الأمل الباقي المعاونة على استمرار صحيفتهم المحبوبة في كفاحها ، ومن حقها عليهم ان يبذلوا لها ضريبة هذا الود وذلك الاعزاز ، ولن نطلب اليهم اكثر من ان يستجيبوا لرجاء الادارة، باداء قيمة اشتراكاتهم في مواعيدها.

القاهرة - مجلة المقتطف

رضوان ابراهيم

الأمير سعود بن عبد العزيز

التاريخ العربي الحديث ، يسجل بايات الفخر مدى تعلق شعب المملكة العربية السعودية بحب ولي عهده العظيم صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سعود بن عبد العزيز آل سعود

ولقد تجلى مدى ما تكنه قلوب شعب الجزيرة لسموه من صادق الولاء ، وعواطف الحب في كل حين على صورة اصبحت تهز المشاعر ، وتسمو على بيان الكاتبين !

ومنذ سطع نجمه السعيد ، في سماء الجزيرة .. وقلوب العرب متفتحة له متفائلة به ، والعيون متتبعة لآثاره ، ترقب في إعجاب واكبار كل خطوة يخطوها لتدعيم مجد بلاده ، ورفع راية العروبة في الخافقين !

ولد سموه في مدينة الكويت - في شهر شوال المبارك من سنة ١٣١٩ هجرية .. وكان مولده فاتحة النهضة الكبرى ، التي بدأت بفتح الرياض .. ووافق مولده ذلك اليوم السعيد ، الذي عقد فيه ذلك النصر المؤزر لوالده ، فكان ذلك فألا حسناً بالمستقبل المشرق ، لهذه البلاد وانها لبراعة استهلال ان يجيء هذا الميلاد في ليلتين توأمتين .. ليلة يولد فيها « سعود » وليلة يتصل بها جلوس

والده العظيم على عرش آبائه في عاصمة نجد ، « الرياض »

وقد نشأ سمو الأمير سعود ، وترعرع في كنف والده الجليل . ولقنه الاساتذة الذين اختارهم جلالة والده مبادىء القراءة والعلوم ، وقد حفظ سموه آيات الله البينات ، ودرس اصول الفقه الاسلامي وهو لم يتخط الحادية عشرة من عمره السعيد المديد .

ولما اشتد عود الأمير سعود ، اخذ ينوب عن جلالة والده في قيادة الجيوش ضد جميع المعتدين الذين تألبوا على بلاده ، وكان لسموه مهارة وبراعة ، اطلقت الألسنة بالثناء على حنكته ، وما تجلى من شجاعته في كل موقعة خاضها ، وكتب فيها الظفر له . فقد ضرب الامير سعود الامثال للقواد ، في عدم التخلف عن الصفوف ، حين كان يركب جواده في مقدمة الفرسان ، مقتحماً الاخطار ، غير مبال بها ، وتمت على يديه فتوحات كثيرة ، وان كان قد دفع ضريبة هذا النصر المبين ، حين نالته جروح عديدة أصيب بها في بعض المعارك الفاصلة ..

ونقول في تفصيل هذا الاجمال ، ان سموه قام باول سفارة له الى قطر سنة ١٣٣٢ ليتسلم من اميرها « عبدالله بن ثاني » عقيب حروب العجمان « سلمان بن محمد » الذي فر الى تلك الجهة ، وتوسط له أمير قطر لدى جلالة الملك عبد العزيز وعندما نشبت الحرب التي دارت رحاها في « تربة » وكان ذلك في اواخر شهر شعبان من سنة ٢٣٣٧ جاء سمو الامير سعود اليها لتاديب القبائل الموالية لخصوم ابيه وإنه لمدهش حقاً ومدعاة للعجب والاعجاب ان يتولى من كان في مثل سنه وهو في التاسعة عشرة قيادة الحروب وتصريف الامر ، وان يظفر بعون الله تعالى على اعدائه وقد تلا ذلك غزوات اخرى في بلاد الشمال ، وقد ربحها سمو الامير سعود كلها ، وكان آخرها استسلام امير حائل عبدالله المتعب آل الرشيد لسموه سنة ١٣٣٥ وفي المعركة الفاصلة التي دارت رحاها بين الجيوش السعودية وبين العصاة من الاخوان في المكان المعروف بالسبلة عام ١٣٤٧ كان سمو الامير سعود قائداً لاهل العارض ولما التقى الجمعان ، ودارت رحى الحرب كان سمو ولي العهد قائداً عاماً للجناح الأيمن وقد خاض سموه بذاته في لجج هذه المعركة كما توجه الى الأحساء في العام التالي لمنع اتخاذ العصاة هذه المنطقة قاعدة لغزوهم واعتدائهم ومكث بها شهوراً القيت خلالها على سموه اكبر المسئوليات . وكانت المشاكل تتازم بين البلاد السعودية واليمنية وتدور بينها رحى الحروب فيعهد بالقيادة الى البطل المغوار « سعود ولي العهد » وينطلق على رأس جيوشه ويمعن متوغلا بين « صعده ونجران » ويرقى مصعداً ثم يقضي الله قضاءه وتزول الأسباب ويصدر امر المليك بان يقف الزحف ويعود القائد المظفر .

وفي ١٧ شوال ١٣٥٨ اسندت الى سموه من قبل جلالة والده الملك القائد الأعلى . القيادة العليا لجميع القوات في المملكة العربية السعودية ، جزاء له على حسن بلائه وشجاعته ، حقاً : ان هذا الشبل من ذاك الاسد .

وقد استطاع سمو الأمير سعود ، اثناء رحلاته الى مصر ، تلبية لدعوة حكومتها ، ان يظفر باعجاب ساستها وكبرائها ، وقد كانت زيارات سموه من اهم الأسباب التي اقامت صروح هذا التعاون بينها وبين المملكة السعودية ، كما وثقت علاقات الاسرتين المالكتين الكريمتين فيها ، بأواصر الود والحب المتبادل .

لقد هيأت رحلة سموه الأولى لمصر سنة ١٣٤٤ هجرية ، الجو الصالح للتعاون المصري ـ السعودي وقد ابتهج الشعبان لهذا التوفيق العظيم الذي ناله سمو الأمير سعود ..

وقد صدر مرسوم ملكي عقب الزيارة الأولى استجابة لرغبات شعب الجزيرة ، خاصاً « بولاية العهد » في شخصه الكريم .

ومن ابرز صفات سموه ، حبه للعلم واجلاله للعلماء ، فهو اذا كان في مجلسه ، واقبل عليه عالم ديني ، استقباله بنفسه ، واجلسه إلى جواره ، احتراماً للدين ...

وإذا تدرج في الحديث مع العلماء ، وضح في كل رأي يبديه ، في المسائل الدينية ، تبحره وتفقهه ، ودقة ملاحظاته ، والتزامه نصوص الدين الحنيف ، وتعاليم الاسلام

ومن سمات الامير سعود ، سعة الصدر ، والحلم ، والاهتمام بالصغيرة والكبيرة من شؤون الرعية ... فهو لا يتعجل في حكم ، وينزع الى الشورى ، وينزل على احكامها ، عطوفاً على الجميع ، عادلا في احكامه ، كأنه عمر بن الخطاب بعث في القرن العشرين .

ويهتم سمو الأمير سعود ، بالسهر على معاهد العلم . والعناية بتوسيع دائرة الثقافة وتعميمها بين المواطنين ، في المملكة السعودية ، وهو شديد الرعاية للادب والأدباء ، يجزل لهم العطاء ، وهذه المزايا الفريدة التي طبع عليها ولي العهد ، تشبه في كثير من نواحيها المزايا التي يتحلى بها جلالة والده العاهل العظيم ـ وقد دفعته هذه المزايا الى ان يظل بعطفه المشروعات الانشائية والعمرانية والأعمال الخيرية والوطنية في بلاده .

ومن خطب الامير سعود ، التي تدل على مبادئه القويمة قوله :

« ان التاريخ حافل بالعبر والعظات وخير دروس للمرء يتعظ بها هي تجارب الأولين وتمجيد اعمال المتقدمين الذين يجب ان يكونوا القدوة الصالحة » .

القاهرة ـ مجلة العالم العربي



٢٢ اغطس ١٩٥١ ـ ما زال الامير فيصل وزير الخارجية السعودية يتابع في لندن محادثاته التي بدأت منذ زمن مع المستر موريسون وزير الخارجية البريطانية .

٢٣ ـ قطعت مفاوضات النفط الانجلو ايرانية بعد ان رفضت ايران الشروط التي تقدم بها المستر ستوكس رئيس الوفد البريطاني

ـ سلمت القيادة الشيوعية مذكرة الى قيادة الامم المتحدة تحتج فيها على ضرب احدي الطائرات الدولية مدينة كايسو نغ .

٢٤ ـ عاد القتال عنيفا في كوريا

٢٥ ـ انتهت محادثات الامير فيصل آل سعود مع الحكومة البريطانية

٢٧ ـ اجتمع مجلس الامن الدولي لاتمام مباحثاته حول القيود على الملاحة في ترعة السويس

ـ صرح المستر هاريمان اثناء مروره بيوغسلافيا « انني والماريشال تيتو متفقان على ان على الولايات المتحدة ويوغسلافيا ان يعززا قواتهما العسكرية لمواجهة العدوان. »

٢٨ ـ وضعت القوات الايرانية في حالة الطوريء وارسلت فرق آلية الى منطقة عبادان اثر تقارير تفيد ان قوات بريطانية تتجه الى شط العرب .

٢٩ ـ طلب مندوب الاتحاد السوفياتي في مجلس الامن تأجيل التصويت على مشروع القرار الثلاثي بالغاء قيود الملاحة في قناة السويس ليتمكن من تقديم مقترحات سلمية لتسوية المشكلة

٣٠ ـ وصل الى بون موفد الرئيس ترومان المستر هاريمان واجتمع بالدكتور ايدناور مستشار المانيا الغربية

اول سبتمبر ١٩٥١ ـ اقر مجلس الامن الدولي مشروع القرار الذي قدمته امريكا وبريطانيا وفرنسا بدعوة مصر فوراً الى رفع القيود عن الملاحة في قناة السويس . وقد دهشت الاوساط الدلية لان الاتحاد السوفياتي قد لاذ مندوبه بالصمت .

٤ ـ افتتح الرئيس ترومان مؤتمر سان فرنسيسكو لتوقيع معاهدة الصلح مع اليابان

ـ نفذ حكم الاعدام شنقا في سجن عمان بالدكتور عبدالله الحسيني وعبد عكه وزكريا عكه وعبد القادر فرحات السدمير الذين حكمت عليهم المحكمة العسكرية الاردنية بتهمة الاشتراك في اغتيال الملك عبدالله

٥ ـ وافق مجلس الامة الاردني باجماع النواب والاعيان في جلسة استثنائية على قرار مجلس الوزراء بالمناداة بالامير طلال ملكا على الاردن باسم طلال الاول .

ـ قال ترومان في خطاب له : ان بلادنا تصنع الان اسلحة خارقة للمادة ولا اقصد بها الاسلحة التي تخشاها اكثر من سواها وانما اسلحة اخرى خارقة للمادة في استعمالها وارجو ان لا نرغم على استعمالها .

٦ ـ وصل الملك طلال الى عمان قادما من سويسرا واقسم اليمين الدستورية في البرلمان

ـ اعلن المندوب الاميركي في مؤتمر سان فرنسيسكو ان معاهدة الصلح تعمل على تحرير اليابان فرد عليه المندوب السوفيتي بان المعاهدة تقوي اليابان عسكريا لذلك فحكومته ترفضها لان في اقرارها خطراً على السلم .

٧ ـ قدم توفيق ابو الهدى باشا رئيس الحكومة الاردنية استقالة وزارته فعهد اليه الملك طلال باعادة تأليفها

ـ اكتشفت السلطات الأميركية مؤامرة دبرها نفر من الروس البيض لاغتيال الرفيق اندره غروميكو رئيس وفد الاتحاد السوفياتي الى مؤتمر سان فرنسيسكو .

٨ ـ تم التوقيع على معاهدة الصلح اليابانية دون ادخال اي تعديل على المسودة التي وضعتها امريكا وبريطانيا وقد وقعت عليها ٤٨ دولة ورفضت التوقيع الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا .

١٠ ـ الغت الحكومة البريطانية التسهيلات المالية التي كانت ممنوحة لايران .

ـ اذاعت الحكومة الهندية المذكرات المتبادلة مع اليابان بانهاء حالة الحرب بين البلدين وعقد معاهدة صلح منفرد، وكانت الهند قد رفضت حضور مؤتمر الصلح الذي عقد في سان فرنسيسكو

١١ ـ اعترفت قيادة الامم المتحدة في كوريا بان طائرات حليفة ضربت مدينة كايسو نغ بسبب خطأ في الملاحة واعلنت اعتذارها عن الحادث

ـ تدور معارك هامة في الجبهة الغربية الكورية وقد اجتازت القوات الدولية نهر الجين .

١٢ ـ افتتح في واشنطن مؤتمر وزراء خارجية امريكا وانجلترا وفرنسا .

ـ استقال الجنرال جورج مارشال ناظر الدفاع الأميركي من منصبه لأسباب شخصية وتعين المستر روبرت لوفيت وكيل نظارة الدفاع خلفا له .

١٣ ـ القى المستشار اديناور رئيس اتحاد جمهوريات المانيا الغربية خطابا الح فيه على ضرورة منح المانيا حريتها المطلقة.

١٤ ـ اتفق وزراء خارجية الدول الثلاث في مؤتمر واشنطن على احكام مشروع «ميثاق الصلح» مع المانيا الغربية. ومن مواده: استقلال المانيا داخليا وخارجيا، واستبدال المفوضيات العليا بسفارات وتبديل نظام قوات الاحتلال لتصبح قوات دفاع .

١٥ ـ افتتح في اوتاوا مجلس حلف الاطلسي .

١٧ ـ رفض مستر هاريمان ان ينقل الى الحكومة البريطانية الانذار الاخير الذي ارسله اليه الدكتور مصدق رئيس حكومة ايران لأنه لم يجد في مقترحات مصدق اي جديد

ـ اقترح الجنرال ريدجواي القائد الأعلى لقوات هيئة الأمم في كوريا على الشماليين استئناف مفاوضات الهدنة مجدداً .

١٨ ـ اعتقل البوليس الايراني الجنرال سرتيب وعدداً من الضباط والاشخاص بتهمة المؤامرة لقلب الحكم .

١٩ ـ اعلن الدكتور ايدناور مستشار المانيا الغربية رفض اقتراح رئيس وزراء المانيا الشرقية الداعي الى اجراء انتخابات عامة في المانيا كلها لتحقيق وحدتها .

٢٠ ـ ختم مجلس حلف الاطلسي مؤتمره واقر التوصيات التالية : ضم تركيا واليونان للحلف ، وتعزيز الجهود للتعاون في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتأليف لجنة لمراقبة الموقف الدولي العام .

٢١ ـ ارسلت روسيا مذكرة الى وكيل وزارة الخارجية المصرية تحذر فيها مصر من الانضمام الى اي حلف غربي .

دار الطباعة والنشر اللبنانية ـ بيروت
تلفون 98 - 35